الدراية
مجلة علمية محكمة
تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

سبيل السلامة فى تفسير سورة القيامة

دراسة تحليلية

دكتور

وليد عبد الحليم محمد زايد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية

مقدمة

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده حمد عبده وابن عبده وابن أمته ومن لاغنى به طرفة عين عن رحمته وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،

فإن القرآن الكريم هو كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو حبل الله المتين وهو النور المبين والصراط المستقيم من عمل به وسار على نهجه سعد فى الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المائدة ١٥ – ١٦ وقال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء ٩ وقد حث الله على تدبر القرآن قال تعالى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ النساء ٨٢ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد ﷺ ٢٤) ولا شك أن ذلك التدبر هو من أفضل الأعمال وأجلها ولذا أحببت أن أعيش فى رحاب القرآن متدبراً له فاستخرت الله تعالى فهدانى لاختيار سورة القيامة لأكتب فيها بحثاً علمياً بعنوان **(سبيل السلامة فى تفسير سورة القيامة)** أسأل الله تعالى أن يوفقنى فى هذا العمل و أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه ولى ذلك والقادر عليه

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

أما **المقدمة** فتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجه

وأما **التمهيد** فيشتمل على اسم السورة وعدد آياتها وكلماتها و حروفها ونوعها وترتيبها ومناسبتها لما قبلها ومقاصدها

وأما **المبحث الأول** فهو بعنوان إثبات البعث وعلاماته

وأما **المبحث الثانى** فهو بعنوان حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن وحال الناس في الآخرة

وأما **المبحث الثالث** تفريط الكافر في الدنيا وإثبات البعث

وأما **الخاتمة** فتشتمل على خلاصة البحث ونتائجه.

وقد سرت فى هذا البحث على النحو التالى :

(١) ذكر عدة آيات ترتبط بموضوع معين

(٢) ذكر مناسبة هذه الآيات لما قبلها

(٣) ذكر المباحث العربية من لغة وإعراب وبلاغة

(٤) ذكر أوجه القراءات فى الآيات مع توثيق القراءات وتوجيهها من الكتب المهتمة بذلك

(٥) ذكر المعنى الإجمالى للآيات

(٦) الشرح والتفسير للآيات فى حدود الطاقة البشرية

(٧) بيان ما ترشد إليه الآيات التى ترتبط بموضوع معين

(٨) عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان أرقامها

(٩) تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية مع الحكم على ما لم يكن مخرجاً منها فى الصحيحين أو فى أحدهما وكذا تخريج أسباب النزول من الكتب المهتمة بذلك

(١٠) بيان معانى المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة

(١١) تعريف الأعلام الواردة فى البحث

(١٢) تذييل البحث بفهرس المراجع والفهرس العام للموضوعات

وفى ختام هذه المقدمة أسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه قريب مجيب الدعاء

د/ وليد عبد الحليم محمد زايد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

التمهيد

ويشتمل على: اسم السورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ونوعها وترتيبها ومناسبتها لما قبلها ومقاصدها.

أولاً: اسم السورة (سورة القيامة) سميت بذلك لافتتاحها بالقسم الإلهى بالقيامة لتعظيمها وإثبات حدوثها والرد على منكريها [١]

ثانياً: عدد آياتها (اختلف في عدد آيها ففي الكوفي أربعون وفي غيره تسع وثلاثون والخلاف في (لِتَعْجَلَ بِهِ) القيامة ١٦ فهو معدود للكوفي والحمصي آية ومتروك للباقين. [٢]

ثالثاً: عدد كلماتها وحروفها (مائة وسبع وتسعون كلمة، ستمائة واثنان وخمسون حرفاً) [٣]

رابعاً: نوعها هي مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل[٤]

خامساً: ترتيبها عدَّت الحادية والثلاثين في عداد نزول سور القرآن . نزلت بعد سورة القارعة وقبل سورة الهُمَزَة[٥]

---

(١) انظر: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام محمود شكرى الألوسى البغدادى ١٣٥/٢٩ ط دار إحياء التراث العربى بيروت وانظر: التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ٢٩/ ٣٣٦ ط دار سحنون تونس ١٩٩٧م وانظر: التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلى ٢٩/ ٢٤٩ ط دار الفكر المعاصر بيروت الأولى ١٤١١ هـ -١٩٩١ م

(٢) انظر: روح المعانى ١٣٥/٢٩ وانظر: نفائس البيان شرح الفرائد الحسان للشيخ عبد الفتاح القاضى ص ٧٠ ، الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة الأولى ١٤٠٤ هـ

(٣) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد للإمام محمد بن عمر نووي الجاوي ٢/ ٥٨٣ تحقيق محمد أمين الصناوي ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٧ هـ

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥/ ٣٧٢، ط دار الكتب العلمية، لبنان الأولى ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد

(٥) انظر: التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ٢٩/ ٣٣٦

سادساً: مناسبتها لما قبلها أعنى سورة المدثر (يتمثل فى أمرين:

أولهمـا: الاتفاق بين السورتين فى الحديث عن أهوال يوم القيامة وجزاء المؤمنين به والمكذبين.

ثانيهمـا: أنه لما قال ﷻ في آخر المدثر (كَلَّا بَلْ لَا يَخافُونَ الْآخِرَةَ) المدثر ٥٣ بعد ذكر الجنة والنار وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ذكر جل وعلا في هذه السورة الدليل عليه (أعنى البعث) بأتم وجه وهذا الدليل يتمثل فى مبدأ خلق الإنسان ومراحل هذا الخلق وإتقانه ومن قدر على هذا فهو قادر على البعث) [١]

سابعاً: مقاصدها:

١ – إثبات البعث والجزاء وذكر علامات يوم القيامة

٢– إيراد الدليل الحسى على إثبات البعث وهو بدأ الخلق والإعادة أهون من البدء قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (القيامة: ٣٦– ٤٠)

٣ – بيان تكفل الله لنبيه ﷺ بحفظ القرآن وفهمه

٤ – ذم إيثار الدنيا على الآخرة

٥ – بيان اختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء يوم القيامة فالأولون تتلألأ وجوهم بالنور ويتمتعون بالنظر إلى وجه الله الكريم والآخرون وجوهم مظلمة منتظرة عذاب الله يوم القيامة[٢]

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسيرللإمام : أبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ١٠/ ٣٤٣ ، الناشر ط دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ. وانظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٢١/ ٨٧ – ٨٨، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة وانظر رو ح المعانى ١٣٥/٢٩ والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٣٦

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢٩ – ٣٣٧ والتفسير المنير ٢٩ – ٢٤٩ – ٢٥٠

المبحث الأول
إثبات البعث وعلاماته

الآيات ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾

(القيامة الآيات ١ – ١٥).

المطلب الأول: المفردات اللغوية:

(اللَّوَّامَةِ) اللوم: العتب والعذل ألام الرجل، فهو مليم إذا أتى ذنباً يلام عليه ويعاتب والنفس اللَّوَّامَةِ هي التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الطاعة والإحسان) [١]

(نُسَوِّيَ) (استوى الشيء: اعتدل، وقوله تعالى (بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ)أي نجعلها مستويةً كخف البعير ونحوه ونرفع منافعه بالأصابع) [٢]

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة للإمام أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ٥/ ٢٢٢، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. ولسان العرب للإمام محمد بن مكرم بن على بن منظور ١٢/ ٥٥٧ ، الناشر: دار صادر – بيروت الثالثة – ١٤١٤ هـ مادة لوم والتفسير المنير ٢٥٢/٢٩

(٢) انظر: الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ٦/ ٢٣٨٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ولسان العرب ٤١٤/١٤ – ٤١٦ مادة سوا

(بَنَانَهُ) (البنان الأصابع وقيل أطرافها الواحدة بنانةٌ قيل سميت بنانًا لأن بها صلاح الأحوال التي يستقر بها الإنسان لأنه يقال أبن بالمكان إذا استقر به. والبنان: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين) [١]

(بَرِقَ) يبرق من باب دخل برقاً وبروقاً وبرقاناً وبريقاً البرق: ظهر والشيء: لمع وتلألأ والسماء: بدا منها البرق والرجل: توعّد وبرق يبرق من باب تعب برقاً تحيّر ودهش فلم يبصر [٢]

(خَسَفَ) أظلم وذهب ضوءه [٣]

(وَزَرَ) الوزر: الملجأ، وأصل الوزر في كلام العرب الجبل الذي يلتجأ إليه، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به، فهو وزرٌ. [٤].

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ المعاذير الحجج قال بعضهم: ولو أدلى بكل حجة يعتذر بها. واحدها معذار. [٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للإمام محمد بن أحمد بن الأزهرى ١٥/ ٣٣٧، تحقيق محمد عوض مرعب ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الأولى، ٢٠٠١م وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ١/ ٦٢ ط المكتبة العلمية بيروت مادة بنن

(٢) انظر: لسان العرب ١٠/ ١٥ وانظر: القاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ٨٦٦ ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م وانظر :إعراب القرآن وبيانه للأستاذ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش١٠/ ٢٥٩ ط دار اليمامة – دمشق – بيروت: الرابعة، ١٤١٥ هـ مادة برق.

(٣) انظر: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي٩٠ ، ط المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م مادة (خسف)، وإعراب القرآن وبيانه١٠/ ٢٥٩.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١٣/ ١٦٦ وانظر: المفردات في غريب القرآن، للإمام أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ٨٦٧، تحقيق صفوان عدنان الداودي ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الأولى – ١٤١٢ هـ. وانظر: لسان العرب ٥/ ٢٨٢ مادة وزر.

(٥) انظر: تهذيب اللغة ٢/ ١٨٧ وانظر: لسان العرب ٤/ ٥٥٢ – ٥٥٣ مادة عذر

المطلب الثانى: الإعراب

(﴿لاَ أُقْسِمُ﴾: العامَّةُ على أنها «لا» النافيةِ. واختلفوا حينئذٍ فيها فقيل : إنها نافيةٌ لكلامٍ متقدِّمٍ، كأنَّ الكفارَ ذَكروا شيئاً. فقيل لهم: لا، ثم ابتدأ اللَّهُ تعالى قَسَماً. وقيل إنها مزيدةٌ، مِثْلُها في: قوله تعالى ﴿لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكتاب﴾ [الحديد: ٢٩] قال الزمخشري[١]: إدخالُ «لا» النافيةِ على فعلِ القسمِ مستفيضٌ في كلامِهم وأشعارِهم. قال امرؤ القيس[٢]:

لا وأبيك ابنةَ العامريْ *** لا يَدَّعِي القومُ أنِّي أفِرّ [٣]).

وفائدتها توكيد القسم والوجه أن يقال: هي للنفي، والمعنى في ذلك: أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له يدلك عليه قوله تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النجوم وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦] فكأنه

---

(١) الزمخشرى هو الإمام محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى المعتزلى ولد سنة ٤٦٧هـ وكان إماماً فى التفسير والحديث واللغة والأدب له الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل وأساس البلاغة والمفصل توفى سنة ٥٣٨هـ انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أحمد بن محمد بن خلكان ٥/ ١٩٨ وما بعدها ط دار صادر بيروت.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار : أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عديّ. وكان أبوه ملك أسد وغطفان.وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. = = فأبعده إلى (دمّون) بحضرموت، جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فترك ما هو فيه من شرب ولهو و ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً ظهرت في جسمه قروح. و مات في أنقرة قبل الهجرة بثمانين سنة انظر: خزانة الأدب ولب لباب العرب للأستاذ عبد القادر بن عمر البغدادي ١/ ٣٢٩ –ومابعدها تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الرابعة، ١٨١٤ هـ – ١٩٩٧ م. وانظر: الأعلام لخير الدين الزركلى ٢/ ١١ – ١٢ط دار العلم للملايين بيروت الخامسة مايو ١٩٨٠م.

(٣) انظر: ديوان امرئ القيس المؤلف: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، ١٠٥، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م وخزانة الأدب ١/٣٧٤

بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظامٍ، يعني أنه يستأهل فوق ذلك[١].

قوله تعالى (وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) عطف على الجملة السابقة واللوّامة نعت للنفس وجواب القسم محذوف أي لتبعثنّ دلّ عليه ما بعده وهو: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ﴾ ﴿بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ بلى حرف جواب وهو إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وقادرين حال من فاعل الفعل المقدّر المدلول عليه بحرف الجواب أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾ معطوف على قوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾، إمّا على أنه استفهام مثله وأضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا، أو على أنه إيجاب انتقل إليه من الاستفهام، وهذا أبلغ وأولى والمعنى: بل يريد الإنسان ليدوم على فجوره وذنبه فيما بين يديه من الأوقات، وفيما يستقبله من الزمان، لا يرعوي عنه.

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ﴾ الجملة في موضع نصب على الحال أي يريد أن يستمر في فجوره في حال كونه سائلاً على سبيل الاستهزاء أيان يوم القيامة ﴿كَلَّا لا وَزَرَ﴾ كلا حرف ردع وزجر عن طلب الفرار ولا نافية للجنس ووزر اسمها المبني على الفتح وخبرها محذوف أي موجود متاح لهم ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿الْإِنْسَانُ﴾ مبتدأ، و ﴿بَصِيرَةٌ﴾ خبره، والهاء فيها للمبالغة، مثل هاء علامة ونسابة

(١) ا نظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبى القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري ٤ – ٦٥٨ ، ط دار الكتاب العربي – بيروت الثالثة – ١٤٠٧ هـ. وانظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام أبى العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ١٠/ ٥٦١ – ٥٦٣ تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط: دار القلم، دمشق

و ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ متعلق بـ ﴿بَصِيرَةٌ﴾ بتقدير على أعمال نفسه، والموصوف محذوف؛ أي: بل هو حجّةٌ بصيرة وبيّنة واضحة على أعمال نفسه، شاهدة جوارحه وأعضاؤه بما صدر عنه من الأفعال السيئة، كما يعرب عنه كلمة ﴿عَلَى﴾، وما سيأتي من الجملة الحالية.

(وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ) الواو حالية من الفاعل المستكن في بصيرة ولو شرطية وألقى فعل ماض وهو فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ومعاذيره مفعول به وجواب الشرط محذوف أي ما ساغت وما قبلت) [1].

(١) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ٣٠ / ٤٤٠ و ما بعدها الناشر: دار طوق النجاة، بيروت- لبنان الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م وإعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٢٩٥ ومابعدها والتفسير الوسيط ١٥ /٢٠١ والتفسير المنير ٢٩/ ٢٥١ - ٢٥٢

المطلب الثالث البلاغة:

١ – الاستفهام الإنكاري بغرض التوبيخ فى قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾

٢ – الاستفهام بغرض استبعاد الأمر وإنكاره فى قوله ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامة﴾

٣ – الطباق[١] بين قوله ﴿قَدَّمَ. وَأَخَّرَ﴾ [٢]

٤ – المجاز العقلى[٣] فى قوله ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى.نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾ والبصيرة الحجة والعلاقة السببية لأن الحجة سبب لإبصار صاحبها [٤]

---

(١) الطباق: هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، أو فعلين؛ كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أو حرفين؛ كقوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ٤ [البقرة: ٢٨٦] .وتقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة انظر:: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للأستاذ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٣٠٣ ، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للأستاذ: عبد المتعال الصعيدي ٤/ ٥٧٢ – ٥٧٣ الناشر: مكتبة الآداب السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م

(٢) انظر: التفسير المنير ٢٩/ ٢٥٢ وانظر: صفوة التفاسير للشيخ: محمد علي الصابوني ٣/ ٤٦٤، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٣) المجاز العقلى هو إسنادُ الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. انظر:جواهر البلاغة ٢٥٥ وبغية الإيضاح ٥٣/١ – ٥٤

(٤) انظر الكشاف ٤ /٦٦١

المطلب الرابع القراءات

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ اختلف فيه فروى عن قنبلٌ [١]. بحذف الألف التي بعد اللام فتصير لام توكيدٍ وعن البزي[٢]. وجهان الأول بحذف الألف والثانى بإثباتها على أنها " لا " النافية، وبذلك قرأ الباقون وقرأ "أَيَحْسِبُ" [الآية: ٣] بكسر السين نافع [٣]. وابن كثير [٤]. وأبو عمرو[٥].

---

(١) قنبل أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَخْزُوْمِيُّ مَوْلاَهُمُ، المَكِّيُّ.عَاشَ: سِتّاً وَتِسْعِيْنَ سَنَةً. تَلاَ عَلَى: أَبِي الحَسَنِ القَوَّاسِ، وَغَيْرِهِ. قيل إنه كان يستعمل دواءاً يسقى للبقر يسمى قنبيلاً فلما أكثر من استعماله عرف به، ثم خفف وقيل قنبل، وقيل بل هو من قوم يقال لهم القنابلة، وكان قنبل قد ولي الشرطة بمكة في وسط عمره، فحمدت سيرته..أَخَذَ عَنْهُ: ابْنُ شَنَبُوْذٍ، وَابْنُ مُجَاهِدٍ، وَابْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَابْنُ شَوْذَبٍ الوَاسِطِيُّ. مَاتَ: سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ انظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٤/ ٨٤ ط : مؤسسة الرسالة الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م وانظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٣٣ – ١٣٤ ، الناشر: دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة. أبو الحسن البزي المكي، المقرئ قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام ومولى بني مخزوم. قرأ القرآن على عكرمة بن سليمان وأبي الأخربط وهب بن واضح، ولد البزي سنة سبعين ومائة وتوفي سنة خمسين ومائتين، انظر: معرفة القراء الكبار ١٠٥ ومابعدها

(٣) نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولاهم أبو رويم المقرئ المدني.أحد الأعلام، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، وكان أسود اللون حالكا وأصله من أصبهان.قال أبو قرة موسى بن طارق: سمعته يقول: قرأت على سبعين من التابعين. ، مات سنة تسع وستين ومائة –رحمه الله تعالى انظر: معرفة القراء الكبار ٦٤ – ٦٦

(٤) عبد الله بن كثير المكى كنيته أبو معبد من التابعين إمام المكيين في القراءة ولد سنة٤٥ هـ، وتوفى سنة ١٢٠ هـ روى عنه القراءة البزى وقنبل انظر: معرفة القراء الكبار ٤٩ وما بعدها

(٥) زبان بن العلاء بن عمار المازنى أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة، فعرض بمكة على مجاهد وسعيد بن جبير، . وقرأ عليه خلق كثير؛ منهم: يحيى بن المبارك اليزيدي، وعبد الوارث التنوري، ولد سنة ٦٨ هـ وتوفى١٥٤هـ وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالبصرة. انظر: المرجع السابق ٥٨ وما بعدها

والكسائي [١]. ويعقوب[٢] وخلف [٣]، والباقون بفتحها.

(واختلفوا فِي: (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) فقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر [٤] بفتح الراء والمعنى على فتح الراء: شخص إذا فتح عينيه عند الموت، وقال آخرون: برق لمع بصره.

وقرأ الباقون (برق) بالكسر أي تحير وقيل برق فزع) [٥].

---

(١) علي بن حمزة الكسائي الإمام أبو الحسن الأسدي، مولاهم الكوفي المقرئ النحوي.أحد الأعلام، إمام القراءة فى الكوفة ولد في حدود سنة عشرين ومائة، وسمع من جعفر الصادق والأعمش. و قرأ عليه أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، ، توفي ، سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل توفي سنة تسع وثمانين، وهو الصحيح. انظر: المرجع السابق ٧٢ – ٧٧

(٢) أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة في عصره وقال علي بن جعفر السعيدي، كان يعقوب أقرأ أهل زمانه. توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين . انظر: المرجع السابق ٩٤ – ٩٥ وانظر:غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام محمد بن محمد بن الجزرى ٢ – ٣٨٦ – ٣٨٧ ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٣٥٢ – ١٩٣٣ م

(٣) خلف بن هشام بن ثعلب، وقيل ابن طالب بن غراب، أبو محمد البغدادي المقرئ البزار، أحد الأعلام. وله اختيار أقرأ به، وخالف فيه حمزة، قرأ على سليم عن حمزة، وسمع مالكاً وأبا عوانة، وقد وثقه ابن معين والنسائي، توفي في جمادى الآخرة، سنة تسع وعشرين ومائتين، وكان مولده سنة خمسين ومائة انظر: معرفة القراء الكبار ١٢٣ – ١٢٤

(٤) يزيد بن القعقاع أبو جعفر القارئ أحد العشرة.مدني مشهور رفيع الذكر، قال غير واحد: قرأ على أبي هريرة وابن عباس –رضي الله عنهم، عن قراءتهم على أبي بن كعب، وصلى بابن عمر وحدث عن أبي هريرة وابن عباس، وهو قليل الحديث، تصدى لإقراء القرآن دهراً. ، وقد وثقه يحيى بن معين والنسائي توفي سنة سبع وعشرين ومائة من الهجرة وقيل غير ذلك انظر: المرجع السابق ٤٠ – ٤٢

(٥) انظر: حجة القراءات للإمام عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ٧٣٦، الناشر: دار الرسالة، وانظر: النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ، تحقيق: علي محمد الضباع ٢/ ٢٨٢ – ٣٩٣ ، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى. وانظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، تحقيق أنس مهرة ص ٥٦٣ ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الثالثة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

المطلب الخامس المعنى الإجمالى

(أقسم الحق- تبارك وتعالى- بيوم القيامة على أن الناس لا يتركون سدى بدون حساب بل لا بد أنهم يبعثون ويجازون على أعمالهم، وأقسم كذلك بالنفس التي تكثر اللوم لذاتها لأنها لم تكثر من فعل الخير أو لفعلها الشر، وهذا اللوم إنما يكون يوم القيامة وقيل: النفس اللوامة التي تلوم نفسها في الدنيا على التقصير في عمل الخير أو على بعض الهفوات في الشر، وهذه ليس من المعقول أن تترك بلا جزاء على هذا العمل فلا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة لتبعثن ولتحاسبن يوم القيامة على ما قدمتم في الدنيا من خير أو شر؛ ثم أنكر الله على الإنسان تكذيبه بالبعث وبين أنه تعالى قادر على جمع عظامه مع تسوية بنانه حتى يتمثل بشراً سويّا كاملاً كما كان، فذكر تسوية البنان إشارة إلى إعادة الإنسان كاملا في أعضائه حتى الأطراف، أو إلى إعادته كاملا في تكوين جسمه كما كان في الدنيا. ثم أضرب عن توبيخ الإنسان والإنكار عليه لأنه يكذب بيوم الدين إلى توبيخه على فعل أشد وأدعى للإنكار. وهو أنه ينكر البعث لأنه يريد أن يتمادى في الشر. وينبعث في ارتكاب الإثم طول حياته، فهو يريد أن يعيش كالحيوان لا عقل يمنعه ولا دين يردعه ؛.وهذا الإنسان المرتكب للمعاصي الفاجر المتعامى عن الحق إذا وعظه واعظ أو ذكر بيوم القيامة سأل منكرا مستهزئا متعنتاً: أيان يوم القيامة؟!! أى: متى هو؟ أقريب أم بعيد؟ ويظل هذا الوضيع متمادياً في غيه لاهيا في شهواته ونزواته، فإذا برق بصره، وخسف القمر وانكسف نوره، واختل نظام الكون حتى جمعت الشمس والقمر في مكان واحد وزمان واحد، وإذا حصل هذا يقول متحيرا يومئذ: أين المفر؟ أين النجاة وأين السبيل؟! اليوم لا وزر ولا ملجأ، ولا معين ولا ناصر، لا ملجأ منه

تعـالى إلا إليـه، ولا حصـن مـن عذابـه إلا عفوه، وإليـه وحـده الالتجـاء والسكون، ومـاذا بعد هذا؟ يخبـر الإنسـان يومئذ بمـا قدم مـن عمـل لـذلك اليوم وما أخر من أمور طلبت منه ولم يعملها، والمراد بالإخبار مجازاته على عمله كله إن خيرا فخير وإن شرّا فشر. ؛ ثم أضرب الحق- تبارك وتعالى- عن إخباره بأعماله إلى مرتبة أتم وأوضح فقال:

بل الإنسان على نفسه شاهد وحجة ورقيب، وعلى ذلك فالمعنى أن الإنسان يوم القيامة ينبأ بعمله، والمراد يجازى عليه، على أنه هو شاهد على نفسه وسوء عمله وقبيح أثره في الدنيا. فليس الأمر في حاجة إلى شهيد آخر (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) النور ٢٤ (كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) الإسراء ١٤ فالإنسان يشهد على عمله، ولو ألقى أعذاره، وحمله الخجل والخوف على خلق أعذار كاذبة، فإن شهادة نفسه عليه أحق بالقبول من هذه المعاذير) [١]

(١) انظر: تفسير المراغي، للإمام أحمد بن مصطفى المراغي ٢٩/ ١٤٥ – ١٤٦ ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م والتفسير الواضح، المؤلف: محمد محمود حجازي ٣/ ٧٨٦ – ٧٨٧، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ

المطلب السادس التفسير والبيان:

قوله تعالى﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أي أقسم بيوم القيامة، لتبعثن، وقد حذف جواب القسم، لدلالة ما بعده عليه، وهو قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ).

والقسم بشيء لتعظيمه وتفخيمه، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وفي الإقسام بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة مزيد تقرير وتأكيد لوقوعه، فإن الإقسام بالمعدوم لا يعقل معناه[١]

وقوله ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (ذهب قومٌ إلى أنه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة، فيكون الكلام في «لا» هذه كالكلام في الأولى، وهذا قول الجمهور. وقال الحسن [٢]: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة. :والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا، كما قال قتادة [٣] ومعنى النفس اللوامة: النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره، أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها. قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه ما أردت بكذا؟ ما أردت بكذا؟ والفاجر لا يعاتب نفسه. قال مجاهدٌ[٤]: (هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على

---

(١) انظر: التفسير المنير ٢٩/ ٢٥٤

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة هو رأس أهل الطبقة الثالثة مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين انظر: تقريب التهذيب للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٦٠ ط دار الرشيد سوريا ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م

(٣) قتادة بن دعامة السدوسى كنيته أبو الخطاب روى عن أنس بن مالك وعكرمة وغيرهما كان بصيراً بأيام العرب عالماً بالتفسير توفى سنة ٦٥ هـ انظر: تهذيب التهذيب للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨ – ٣١٥ ومابعدها ط دار الفكر الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م

(٤) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقريء مولى السائب ابن أبي السائب قال مجاهد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة كان من أعلم التابعين بالتفسير قال ابن معين وأبو زرعة ثقة ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة في خلافة عمر ومات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة من الهجرة وهو ساجد وقيل أربع ومائة انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨ – ٤٠

الشر لم تعمله؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه؟ قال الفراء [١]: ليس من نفسٍ برةٍ ولا فاجرةٍ إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا قالت: هلا ازددت! وإن كانت عملت سوءًا قالت: ليتني لم أفعل [٢]. وعلى هذا فالكلام خارجٌ مخرج المدح للنفس، فيكون الإقسام بها حسنًا سائغًا. وقيل: اللوامة هي الملومة المذمومة، فهي صفة ذم، وبهذا احتج من نفى أن يكون قسمًا، إذ ليس لنفس العاصي خطر يقسم له قال مقاتل [٣] أقسم بالنفس الكافرة التي تلوم نفسها في الآخرة [٤] وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات [٥]

---

(١) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو.ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم.وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها ولد سنة ١٤٤ هـ وتوفى سنة ٢٠٧ هـ انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٨، وانظر: الأعلام ٨/ ١٤٥.

(٢) انظر: معاني القرآن للإمام يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء ٣/ ٢٠٨، المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي. صاحب التفسير.روى عن نافع مولى ابن عمر؛ وأبي إسحاق السبيعي وغيرهما ؛ عن ابن معين ليس بثقة وقال الدوري وغيره عن ابن معين ليس بشئ ؛ وقال عمرو بن علي متروك الحديث كذاب ؛وقال ابن سعد أصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه ؛ وقال البخاري منكر الحديث سكتوا عنه وقال في موضع آخر لا شئ البتة توفى سنة ١٥٠ هـ انظر: تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٩ – ٢٥٣ ، وتقريب التهذيب ٥٤٥

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان للإمام مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ٣/ ٤٢١ ، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولى – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م تحقيق : أحمد فريد.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبرى ٢٤/ ٤٩ – ٥٠ تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة ، الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، وانظر: فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٥/ ٤٠٣ ، الناشر: دار ابن كثير، الأولى – ١٤١٤ هـ، وانظر: التفسير المنير ٢٩/ ٢٥٤.

فيتضح مما سبق أن فى المراد بالنفس اللوامة ثلاثة أقوال:

الأول: أنها النفس المتقية الخيرة تلوم صاحبها على عدم الاستكثار من الخير وعدم الإقلال من الشر.

الثانى: أنها النفس الفاجرة.

الثالث: ما يشمل القسمين معاً والراجح الأول لأن القسم الغرض منه التعظيم ولا تعظيم لنفس الفاجر (وقد جمع الله بين القيامة والنفس اللوامة، في القسم بهما، تعظيماً لشأنهما، وتناسباً بينهما. إذ النفس اللوامة، هي المصدقة بها، المقرة بوقوعها، المهيئة لأسبابها، لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير، والتقاعد عن الخيرات، وإن أحسنت، لحرصها على الزيادة في الخير، وأعمال البر، تيقناً بالجزاء، فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسياناً) [١].

قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) الإنسان هنا الكافر المكذب بالبعث. [٢].

قوله تعالى: (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) فى الآية قولان:

(الأول قول ابن عباس [٣] وعامة المفسرين: أن المعنى (عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير، أو كحافر الحمار، أو كظلف الخنزير، ولا يمكنه أن يعمل به شيئا، ولكنا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء. وكان الحسن يقول: جعل لك أصابع

(١) انظر: محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين القاسمي ٩ /٣٦٢، المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الأولى – ١٤١٨ هـ

(٢) انظر: البحر المحيط ١٠ / ٣٤٤ والتحرير والتنوير ٢٩ / ٣٣٩

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله (ﷺ) كان يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه توفى سنة ٦٨هـ انظر: أ سد الغابة للإ مام محمد بن محمد بن الأثير ٣ – ٢٩٠ – ٢٩٤ ط الشعب.

فأنت تبسطهن، وتقبضهن ، ولو شاء الله لجمعهن فلم تتق الأرض إلا بكفيك. الثانى أن الآية إقامة دليل آخر على البعث والمعنى ليس الأمر كما زعم هؤلاء المشركون من أننا لا نعيد الإنسان إلى الحياة بعد موته للحساب والجزاء، بل الحق أننا سنجمعه وسنعيده إلى الحياة حالة كوننا قادرين قدرة تامة، على هذا الجمع لعظامه وجسده، وعلى جعل أصابعه وأطرافه وأناملـه مستوية الخلق، متقنة الصنع، كما كانت قبل الموت. وخصت البنان بالذكر، لأنها أصغر الأعضاء، وآخر ما يتم به الخلق، فإذا كان- سبحانه- قادراً على تسويتها مع لطافتها ودقتها، فهو على غيرها مما هو أكبر قدرة. والتأويل الثانى أشبه بمساق الآية حيث إن السياق في إنكار البعث واستبعاده) [١] ومن الجدير بالذكر (أن عبارة تسوية البنان تدل على معنى لم يكشف العلم سره إلا بعد نزول الآية بأكثر من ألف سنة حينما عرف أن لكل بنان بصمة خاصة به، تختلف فيها اتجاهات خطوطها اختلافاً واضحاً بين فرد وآخر، وبين جميع البشر وقد استخدم الإنسان هذه الاختلافات في تحقيق الشخصية عن طريق البصمات وقد أفادت هذه الحقيقة في التعرف على الأشخاص عن طريق بصماتهم في حالة وقوع جرائم يترك الجناة فيها بصماتهم على أي شئ تناولوه) [٢]

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ١٩ – ٩٤ط دار الكتب المصرية – القاهرة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٨ – ٣٧٢ط دار الفكر بيروت – لبنان : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي ١٥ – ١٩٨ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة

(٢) انظر: القرآن وإعجازه العلمي تأليف محمد إسماعيل إبراهيم ١١١، الناشر: دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة

قَوْلُهُ تَعَالَى: (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ) «فى مرجع الضمير فى قوله (أَمامَهُ) قولان الأول (أنه عائد على الْإِنْسانُ، ومعنى الآية أن الإنسان إنما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبداً قدماً راكباً رأسه ومطيعاً أمله ومسوفاً بتوبته، قاله مجاهد والحسن وغيرهما والتقدير لكن يفجر، الثانى قول ابن عباس ما يقتضي أن الضمير في (أَمامَهُ) عائد على يوم الْقِيامَةِ، والمعنى أن الإنسان هو في زمن وجوده أمام يوم القيامة وبين يديه، ويوم القيامة خلفه فهو يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يدي يوم القيامة، وهو لا يعرف قدر الضرر الذي هو فيه، و(بَلْ) في أول الآية هي إضراب على معنى الترك لا على معنى إبطال الكلام الأول»[١].

وقول ابن عباس هُوَ الْأَظْهَرُ مِنَ الْمُرَادِ لأنه يؤيده اللحاق حيث قَالَ تعالى بعده (يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) [٢].(والخلاصة: أن إنكار البعث يتولد من شبهتين: الأولى- استبعاد الإنسان اجتماع الأجزاء بعد تفرقها وتلاشيها، والثانية- التمادى فى الشهوات والميل إلى الفجور

فأجاب تعالى عن الشبهة الأولى بقوله: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ) وأنكر على صاحب الشبهة الثانية بقوله: (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ) أى بل يريد أن يكذب بما أمامه من البعث والحساب، لئلا تنتقص عنه اللذات العاجلة [٣].

قوله تعالى ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ﴾ «يقول -أى الإنسان المنكر للبعث والحساب- متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعادٍ لوقوعه

(١) انظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ – ٤٠٣.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ٨/ ٢٧٦ ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م
(٣) انظر: التفسير المنير ٢٩/ ٢٥٥

وتكـذيبٌ لوجـوده كمـا قـال تعـالى: ﴿وَيَقُولُـونَ مَتـى هـذَا الْوَعْـدُ إِنْ كُنْـتُمْ صادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٢٩- ٣٠] (١)

قوله تعالى (فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

(فَـإِذا بَـرِقَ الْبَصَـرُ) قُـرِئَ بكسـر الـراء وفتحهـا، و بـرق بصـره بكسـر الراء يبرق برقًا إذا تحير، والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق، فيؤثر ذلك في ناظره، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق، وأما برق بفتح الراء، فهو من البريق، أي لمع من شدة شخوصه اختلفوا في أن هذه الحالة متى تحصل؟ فقيل: عند الموت، وقيل: عند البعث، فمن قال: إن هذا يكون عند الموت، قال: إن البصر يبرق على معنى يشخص عند معاينة أسباب الموت، والملائكة كما يوجد ذلك في كل واحد إذا قرب موته، ومن مال إلى هذا التأويل، قال: إنهم إنما سألوه عن يوم القيامة، لكنه تعالى ذكر هذه الحادثة عند الموت والسبب فيه من وجهين: الأول: أن المنكر لما قال: (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) [الْقِيَامَةِ: ٦] على سبيل الاستهزاء فقيل له: إذا برق البصر وقرب الموت زالت عنه الشكوك، وتيقن حينئذ أن الذي كان عليه من إنكار البعث والقيامة خطأ الثاني: أنه إذا قرب موته وبرق بصره تيقن أن إنكار البعث لأجل طلب اللذات الدنيوية كان باطلًا، وأما من قال بأن ذلك إنما يكون عند قيام القيامة، قال: لأن السؤال إنما كان عن يوم القيامة، فوجب أن يقع الجواب بما يكون من خواصه وآثاره، قال تعالى (إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨ – ٢٧٦ – ٢٧٧ ، والتفسير الوسيط ١٩٩/١٥

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ) [إِبْرَاهِيمَ: ٤١]) [١] قَوْلُهُ: (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) أي ذهب ضوءه. والخسوف في الدنيا إلى انجلاء، بخلاف الآخرة، فإنه لا يعود ضوءه. ويحتمل أن يكون بمعنى غاب، ومنه قوله تعالى: (فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ) [القصص: ٨١] [٢]

قوله تعالى (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) (ذكروا في كيفية الجمع وجوهًا أحدها: أنه تعالى قَالَ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] فإذا جاء وقت القيامة أدرك كل واحد منهما صاحبه واجتمعا وثانيها: جمعا في ذهاب الضوء، فهو كما يقال: الشافعي [٣] يجمع ما بين كذا وكذا في حكم كذاو ثالثها: يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذابًا لهما لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادةً في تبكيت الكافرين وحسرتهم. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في البحر، فهناك نار الله الكبرى واعلم أن هذه الوجوه التي ذكرناها في قوله: (و خَسَفَ القَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) إنما تستقيم على مذهب من يجعل برق البصر من علامات القيامة، فأما من يجعل برق البصر من علامات الموت قال معنى: وخسف القمر أي ذهب ضوء البصر عند الموت، يقال عين خاسفة، إذا فقئت حتى غابت حدقتها في الرأس، وأصلها من خسفت الأرض إذا ساخت بما عليها، وقوله: وجمع

(١) انظر: مفاتيح الغيب للإمام محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي ٣٠ / ٧٢٣ – ٧٢٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت : الثالثة ، ١٤٢٠ هـ .

(٢) انظر: تفسير القرطبى ١٩/ ٩٦.

(٣) هو الإمام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر. قال أبو ثور من زعم أنه رأى مثل محمد بن ادريس في علمه وفصاحته وثباته وتمكنه ومعرفته فقد كذب كان منقطع القرين في حياته فلما مضى لسبيله لم يعتض منه ولد بغزة سنة ١٥٠ وتوفى سنة٢٠٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٢٣ وما بعدها

الشمس والقمر كناية [١] عن ذهاب الروح إلى عالم الآخرة، كأن الآخرة كالشمس، فإنه يظهر فيها المغيبات وتتضح فيها المبهمات، والروح كالقمر فإنه كما أن القمر يقبل النور من الشمس، فكذا الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة، ولا شك أن تفسير هذه الآيات بعلامات القيامة أولى من تفسيرها بعلامات الموت وأشد مطابقةً لها) [٢]

قوله تعالى (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ . كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) (يحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما- أن يكون من الكافر خاصةً في عرضة القيامة دون المؤمن، لثقة المؤمن ببشرى ربه. الثاني- أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها [٣]. والأولى أن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن لايحزنه الفزع الأكبر (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) الأنبياء١٠٣ والسياق يؤيد كون المراد بالإنسان الكافر حيث إن المراد بالإنسان (هو المتحدث عنه من قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾) [٤].

قوله تعالى (أَيْنَ الْمَفَرّ). (أى: أين الفرار من قضاء الله- تعالى- ومن قدره وحسابه. فالمفر مصدر بمعنى الفرار. والاستفهام بمعنى التمني أى: ليت لي مكاناً أفر إليه مما أراه.

وقوله- سبحانه-: (كَلَّا لا وَزَرَ. إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) إبطال لهذا التمني، ونفى لأن يكون لهذا الإنسان مهرب من الحساب. والوزر: المراد به الملجأ والمكان الذي يحتمي به الشخص للتوقي مما يخافه،

---

(١) الكناية لفظ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، انظر: جواهر البلاغة ٢٨٧ – ٢٨٨ وبغية الإيضاح ٥٣٨/٣.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٣٠ – ٧٢٤ وتفسير القرطبى ٩٧/١٩

(٣) انظر: تفسير القرطبى ٩٧/١٩

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٣٢٠/٢٩

وأصله: الجبل المرتفع المنيع من الوزر وهو الثقل أى: كلا لا وزر ولا ملجأ لك. أيها الإنسان- من المثول أمام ربك في هذا اليوم للحساب والجزاء .ومهما طال عمرك، وطال رقادك في قبرك.. فإلى ربك وحده نهايتك ومستقرك ومصيرك، في هذا اليوم الذي لا محيص لك عنه. (١)

قوله تعالى (يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (أي يخبر ابن آدم برا كان أو فاجرًا (بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ) قال ابن عباس: بما قدم في حياته وأخر من سنة يعمل بها بعده. وقال ابن عباس أيضًا: بما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات.

وقال زيد بن أسلم (٢): بما قدم من ماله لنفسه، وبما أخر منه للوارث. وقال النخعي (٣) ومجاهد: بأول عمله وآخره. وقال الضحاك (٤): بما قدم من فرض وأخر من فرض والظاهر حمله على العموم، أي يخبره بكل ما قدم وكل ما أخر مما ذكره المفسرون ومما لم يذكروه.) (٥)

(فالآية بيان لما يحدث له يوم القيامة، أى: يخبر الإنسان في هذا اليوم بما قدم من أعمال حسنة. وبما أخر منها فلم يعملها، مع أنه كان في إمكانه أن يعملها فهو يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها أولها

(١) انظر: تفسير القرطبى ١٩/ ٩٧ والتفسير الوسيط ١٥ – ٢٠٠ – ٢٠١

(٢) زيد بن أسلم العدوى أبو أسامة ويقال أبو عبد الله المدني الفقيه مولى عمر. روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ؛ وعنه أولاده الثلاثة أسامة وعبد الله وعبد الرحمن ومالك وابن عجلان وهو ثقة عالم كان يرسل مات سنة ست وثلاثين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ٣/٣٤١ – ٣٤٢، وتقريب التهذيب ٢٢٢.

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً وكان مفتى أهل الكوفة وكان رجلاً صالحاً فقيها متوقياً قليل التكلف ومات وهو مختف من الحجاج مات سنة ست وتسعين وهو بن خمسين أو نحوها. انظر: تهذيب التهذيب ١/١٥٥ ، وانظر: تقريب التهذيب ٩٥.

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ويقال أبو محمد الخراساني. وهو صدوق كثير الإرسال اشتهر بالتفسير مات سنة ١٠٦هـ وقيل ١٠٥هـ انظر: تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٧- ٣٩٨، وانظر: تقريب التهذيب ٢٨٠.

(٥) انظر: تفسير القرطبى ١٩/ ٩٨- ٩٩ والبحر المحيط ١٠/ ٣٤٧

وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال- سبحانه- (وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) الكهف ٤٩ « والمقصود بالآية المجازاة على الأعمال لا مجرد الإخبار.) [١]

قوله تعالى (بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ) (والبصيرة هنا بمعنى الحجة المشاهدة عليه، أى: بل الإنسان حجة بينة على نفسه، وشاهدة بما كان منه من الأعمال السيئة، ولو أدلى بأية حجة يعتذر بها عن نفسه. لم ينفعه ذلك ؛ ووصفت الحجة بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً) النمل ١٣ أو: عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله، وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء، لأنه شاهد عليها بما عملت، لأن جوارحه تنطق بذلك، كما قال- تعالى- (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) النور ٢٤ (وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ) أى: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها) وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير: الستور، واحدها معذار، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب..

فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها. ونحوه: المناكير في المنكر [٢] .

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧٧ والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠١

(٢) انظر: الكشاف ٤/ ٦٦١، والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠١

المطلب السابع ما ترشد إليه الآيات

ترشد الآيات إلى ما يأتي:

١- أقسم الله سبحانه بيوم القيامة تعظيما لشأنه، كما أنه أقسم أيضا بنفس المؤمن الطامحة دائماً إلى زيادة الخير والطاعة، والإقلال من الشر والمعصية تنويهاً بشأنها وإخلاصها. والمناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة: أن المقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال النفس اللوامة، من السعادة والشقاوة.

٢- المقسم عليه هو وقوع البعث بلا شك

٣- إن شأن الكافر المكذب بما أمامه من البعث والحساب أن يرتكب أعظم الآثام، ويقتحم المعاصي دون حسبان للنتائج والمخاطر، ودون تقدير، لعواقب الأمور والتبعة (المسؤولية) الناجمة عنها.

٤- تتبدل معالم الكون يوم القيامة، وتظهر علامات دالة عليه، منها حيرة البصر ودهشته من الأهوال، وذهاب ضوء القمر دون عودة، وذهاب ضوء الشمس والقمر معا، أي جمع الله، بينهما في ذهاب ضوئهما، فلا ضوء للشمس، كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه.

٥- إذا ظهرت علامات القيامة حار الإنسان، وقال: أين المهرب؟ أين المفر؟

٦- لا مفر من الله، ولا ملجأ من النار، ولا حصن من العذاب، وإنما المرجع والمصير والمنتهى إلى حكم الله، وصيرورة كل إنسان إما إلى الجنة وإما إلى النار.

٧- يخبر ابن آدم يوم القيامة عند وزن الأعمال، برّاً كان أو فاجراً، بما أسلف من عمل سيئ أو صالح أو أخر من سنة سيئة أو صالحة يعمل بها

بعده، أو بأول عمله وآخره، أو بما قدم من المعصية، وأخّر من الطاعة.

إن هذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال، لا عند الموت.

٨- الإنسان خير شاهد على نفسه، فهو حجة بيّنة على أعماله، حتى ولو أنكر واعتذر، فقال: لم أفعل شيئاً، فإن عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه، فلو اعتذر وجادل عن نفسه، فعليه شاهد يكذّب عذره. وفى قوله (بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.) القيامة ١٤ دليل على قبول إقرار المرء على نفسه لأنها بشهادة منه عليه، قال الله سبحانه: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) [النور ٢٤] [(١)] .

(١) انظر: أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله المعروف بأبى بكر بن العربي المالكي ٤/ ٣٤٤ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م والتفسير المنير ٢٩/ ٢٥٧- ٢٦٠

المبحث الثانى

حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن وحال الناس في الآخرة

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾

(القيامة الآيات ١٦ – ٢٥)

المطلب الأول المفردات اللغوية

(ناضِرَةٌ) حسنة مضيئة مُشْرِقة بالنَّعِيم والنَّضْرة: النَّعْمة والعَيْش والغِنى وَقِيلَ: الحُسْن والرَّوْنَق وقَدْ نَضَر الشجرُ والورقُ والوَجهُ وَاللَّوْنُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَنْضُر نَضْراً ونَضْرة ونَضارة فَهُوَ ناضِر ونَضِير ونَضِرٌ أَي حَسَن،والنَّضارة، هِيَ فِي الأَصل حُسْن الْوَجْهِ والبَرِيقُ،[١]

(باسِرَةٌ) بَسَرَ يَبْسُرُ بَسْراً وبُسُوراً: عَبَسَ. وبَسَرَ أَي نَظَرَ بِكَرَاهَةٍ شَدِيدَةٍ. وَقَوْلُهُ: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَة) أَي مُقَطِّبَةٌ قَدْ أَيقنت أَن الْعَذَابَ نَازِلٌ بِهَا. وبَسَرَ الرجلُ وَجْهَه بُسُوراً أَي كَلَحَ[٢] .

(فاقِرَةٌ) (والفاقِرةُ: الدَّاهِيَةُ الْكَاسِرَةُ للفَقَارِ أَي خَرَز ظَهْرَهُ يُقَالُ: عَمِلَ بِهِ الفاقِرةَ أَي الداهية. وقَوْلِهِ تَعَالَى: (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) الْمَعْنَى تُوقِنُ أَن يُفْعَلَ بِهَا دَاهِيَةً مِنَ الْعَذَابِ)[٣]

---

(١) انظر: المفردات ٨١٠ – ٨١١ ولسان العرب ٥/ ٢١٢ – ٢١٣ مادة نضر

(٢) انظر: تهذيب اللغتل ١٢/ ٢٨٦ ولسان العرب ٤/ ٥٨ مادة بسر

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٩/ ١٠٣ – ١٠٤ولسان العرب ٥/ ٦٢ وتاج العروس من جواهر القاموس للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ١٣/ ٣٣٩، الناشر دار الهداية مادة فقر

المطلب الثانى الإعراب

(لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَبِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) الجملة مقول قول محذوف مستأنف (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) وجوه مبتدأ وناضرة نعت له ويومئذ منصوب على الظرفية بناضرة وإلى ربها متعلقان بناظرة وناظرة خبر وجوه والمعنى أن الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة إلى ربها وهذا معنى صحيح وتخريج سهل، وسوّغ وقوع النكرة مبتدأ وقوعها في معرض التفصيل. (١)

المطلب الثالث البلاغة:

(بَنانَهُ) (بَيانَهُ) جناس غير تام(٢) لاختلاف بعض الحروف.

المقابلة(٣) بين قوله (كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) حيث قابل بين حبهم للدنيا وإهمالهم للآخرة وبين قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ. إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) وقوله (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) حيث قابل بين نضارة وجوه المؤمنين، وكلاحة وجوه المجرمين. وبين الجزاء العظيم

---

(١) انظر: البحر المحيط ١٠/ ٣٥٠ – ٣٥١ وحدائق الروح والريحان ٣٠ /٤٥٠ والتفسير المنير ٢٩/ ٢٦١وإعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣٠٠

(٢) الجناس أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعانِ: (أ) تَامٌّ : وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.مثل قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) الروم ٥٥ (ب) غَيْرُ تَامّ ٠(ناقص) : وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة. مثل قوله(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) الضحى ٩– ١٠ انظر: البلاغة الواضحة للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين ٢٦٣ – ٢٦٥ ، الناشر: دار المعارف لبنان

(٣) المقابلة هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده كقوله عز وجل (فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى) الليل ٥ – ١٠ وهى من المحسنات البديعية المعنوية انظر: مفتاح العلوم للإمام يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ٤٢٤ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م وجواهر البلاغة ٣٠٤

للمؤمنين المتمثل فى النظر إلى وجه الله الكريم وما ينتظر المجرمين من العقاب الشديد.

المجاز المرسل[١] في قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ. إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) لأن المراد بنظر الوجوه نظر العيون التي فيها بطريق ذكر المحل وإرادة الحالّ فيه

الكناية فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ)حيث كُنِّيَ بِنَضْرَةِ الْوُجُوهِ عَنْ فَرَحِ أَصْحَابِهَا وَنَعِيمِهِمْ، قَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: ٢٤] لِأَنَّ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنَ الِانْفِعَالَاتِ يَظْهَرُ أَثَرُهُ) يعنى على الوجوه

التَقْدِيمُ [٢] للمجرور مِنْ قَوْلِهِ (إِلى رَبِّها) عَلَى عَامِلِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِهَذَا الْعَطَاءِ الْعَجِيبِ وَلَيْسَ لِلِاخْتِصَاصِ لِأَنَّهُمْ لَيَرَوُنَّ بَهِجَاتٍ كَثِيرَةً فِي الْجَنَّةِ. [٣]

---

(١) المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. انظر: جواهر البلاغة: ص٢٥٥– ٢٥٣، وبغية الإيضاح : ٤٦٢/٣ وما بعدها.

(٢) الأصل في الجملة الاسميّة تقديم المسند إليه " المحكوم عليه" وهو المبتدأ وما يتصل به، وتأخير المسند " المحكوم به" وهو الخبر وما يتّصل به،وقد يخالفُ هذا الأصل فيقدم المسند وهو الخبر لدواعي بلاغية ومنها الاهتمام بالمقدم (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) السجدة ٢٤. فقوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ معمولٌ مقدَّمٌ على عامله وهو ﴿يُوقِنُونَ﴾ وَقُدِّمَ لِلِإشْعَارِ بِأَهَمّيَةِ آيَاتِ اللهِ في حيَاةِ = = البْشَر، وبقيمَتِها العظيمة في رحلة امتحانهم، انظر: البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني ٣٥٠/١ – ٣٨٥ ، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦ م

(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٥٣–٣٥٥، وحدائق الروح والريحان ٣٠ /٤٧٠ والتفسير المنير ٢٦٢/٢٩.

المطلب الرابع القراءات

(قرأَ ابن كثير وأَبو عمرو وابن عَامر[١] كلا بل يحبونَ العاجلة ويذرون الْآخِرَة بِالْيَاءِ وحجتهم أَنه ذكر قبل ذَلِك الْإِنْسَان فَقَالَ (يُنَبَّأُ الْإِنْسَان يَوْمئِذٍ) ﴿بل الْإِنْسَان على نَفسه بَصِيرَة﴾ القيامة ١٣ – ١٤ وَالْإِنْسَان فِي هَذَا الْوَضع فِي معنى النَّاس فأخرجوا الْخَبَر عَنْهُم إِذْ كَانَ ذَلِك فِي سِيَاق الْخَبَر عَنْهُم ليأتلف الْكَلَام على نظام وَاحِد

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿ تُحِبُّونَ ﴾ ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ بِالتَّاءِ على الْخطاب أَي قل لَهُم يَا مُحَمَّد بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة)[٢]

المطلب الخامس المعنى الإجمالى وبيان مناسبة الآيات لما قبلها

(بعد أن ذكر أن المنكر للقيامة والبعث معرض عن آيات الله، منكر لعظيم قدرته، وأنه سائر فى غلوائه، غير مكترث بما يصدر منه– أردفه بذكر حال من يثابر على تعلّم آيات الله وحفظها وتلقنها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها، رجاء قبوله إياها، ليظهر بذلك تباين حال الفريقين: من يرغب فى تحصيل آيات الله، ومن يرغب عنها «وبضدها تتميز الأشياء» ثم لما فرغ من خطاب النبي ﷺ رجع إلى الإنسان السابق ذكره المنكر للبعث و بين أن سبب إنكاره للبعث هو حبه للدنيا الفانية و تركه للآخرة الباقية، ثم ذكر ما يكون فى ذلك اليوم من استبشار

---

(١) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، بن ربيعة، أبو عمران على الأصح. إمام أهل الشام في القراءة، ولد ابن عامر سنة إحدى وعشرين من الهجرة. أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء، وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان، وقيل عرض على عثمان نفسه ﷺ "وروى عنه القراءة عرضاً يحيى الذماري ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني توفي ابن عامر سنة ثماني عشرة ومائة انظر: معرفة القراء الكبار ص:٤٦ وما بعدها.

(٢) انظر: النشر ٢/ ٣٩٣ وحجة القراءات ٧٣٦ – ٧٣٧

المـؤمنين وعبـوس المشـركين وملاقـاتهم للشـدائد والأهـوال، وظـنهم أن ستتراكم عليهم الدواهي التي تكسر فقار ظهورهم) [١]

المطلب السادس التفسير والبيان

قولـه تعالى (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)

(تبـدو مناسـبة هـذه الآيـات، للآيـات التـي قبلهـا، ثـم للآيـات التـي بعـدها– تبـدو المناسـبة بعيـدة فـى ظـاهر الأمـر، حيـث إن هـذه الآيـات حديث خاص إلى النبىّ ﷺ، فى شأن من شئون تلقّيه الوحى. وما بعد هذه الآيات وما قبلها، هو عرض للمشركين والضالين فى موقف الحساب والجـزاء يـوم القيامـة.. فمـا سـرّ وضـع هـذه الآيـات هنـا؟ ومـا المناسـبة الجامعة بينها وبين ما تقدمها، وما جاء بعدها؟

نقول والله أعلم: إن هذا الترتيب الذي جاء عليه نظم هذه الآيات، يشير إلى أكثر من دلالة، ويومىء إلى أكثر من مقصد:

فـأولا: هذا القطع لنسق النظم، فى صورة فجائية، وبلا مقدمات– هو إلفات قاهر، لا إرادى، لأولئك المشركين الذين يكذبون بيوم الدين، ويكذبون بما تلا عليهم رسول الله ﷺ من آيات الله، وما تحمل إليهم هذه الآيـات مـن أخبـار هـذا اليـوم وأحداثـه.. وفـى هـذه اللفتـة القـاهرة يـرون النبـي ﷺ فـى مقام التلقّى عن ربـه، وفـى مجلس التلقين، والتعليم منـه، سبحانه، وأنـه– صلوات الله وسلامه عليه– يتعلم مما علمه الله، وأن هذا العلم لا يستأثر به وحده، وإنما هو مأمور بحمله وعرضه على الناس جميعا، ليأخذوا حظهم كاملاً منه..

---

(١) انظر :تفسـير المراغـى ٢٩/ ١٥٠ – ١٥١ ، وحـدائق الـروح والريحـان ٤٤٩/٣٠، و التفسير المنير: ٢٦٣/٢٩.

ولا شك أن هذا من شأنه أن يخفف كثيراً مما فى قلوب المشركين من مشاعر الحسد للنبى ﷺ، والغيرة منه، كما أن هذا الموقف يفتح عيون كثير من المكذبين والمعاندين على وجه الحق الذي غاب عنهم فى دخان الحسد المنبعث من صدورهم، حيث يرون النبي- صلوات الله وسلامه عليه- يتلقى هذا التحذير والتأديب فى مقام التعلّم، وأنه ليس هناك أمام عظمة الله عظيم.. إن الله سبحانه هو رب العالمين، وكلهم مربوبون له، منقادون لأمره، وأن ما جاءهم به النبي ﷺ قد احتمل فى سبيله جهداً أو مشقة، وهم يتلقونه منه دون أن يسألهم عليه أجراً..

وثانيا: الطبيعة البشرية يغلب عليها حب التملك، ومن أجل هذا كان شأن الناس إيثار العاجل على الآجل، والحاضر على الغائب وفى عرض النبي- صلوات الله وسلامه عليه- فى هذا الموقف الذي يستعجل فيه النطق بكلمات الآية وحفظها، قبل أن تفلت منه- فى هذا ما يكشف للمشركين عن أن حب العاجل طبيعة مركوزة فى الناس، كما يقول ﷻ : « خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» الأنبياء٣٧ وأن العجلة غير محمودة حتى فى مقام الإحسان، وفى طلب الخير.. بل إن الرفق، والتوسط فى الأمور هو المحمود، وهو الذي يتيح للإنسان فرصة التروي والتعقل، ووزن الأمور بميزان الروية والعقل.. فكيف بالمشركين وهم يخوضون خوضاً فى متاع الحياة الدنيا؟ أفلا يكون منهم تمهل فى هذا الجري اللاهث وراء هذا الحطام الزائل؟ ثم ألا يكون منهم وقفة مع هذا الذي يدعوهم النبي ﷺ إليه؟

وثالثا: إذا كان على النبي ﷺ أن يصغى إلى الوحى، ولا يحرك لسانه قبل أن ينتهى رسول الوحى من إلقاء ما يوحى به إليه، أفما كان على الذين يستمعون من النبي آيات الله، أن يصغوا إليها، وألا يفتحوا

أفواههم بكلمة وهم بين يديها، حتى ينتهى عرضها، ليكون لهم سبيل إلى فهم معانيها، وإدراك بعض أسرارها؟ (١)

رابعاً- أن عادة القرآن، إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد، حيث يعرض يوم القيامة، أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً، كما قال في الكهف: (وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) [الكهف: ٤٩]، إلى أن قال: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) [الكهف: ٥٤] الآية. وقال في طه: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) [طه: ١٠٢]، إلى أن قال (فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) [طه: ١١٤] (٢)

(ومعنى الآيات : لا تتعجل- أيها الرسول الكريم ﷺ بقراءة القرآن الكريم عند ما تسمعه من أمين وحينا جبريل عليه السلام، بل تريث وتمهل حتى ينتهى من قراءته فإذا أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل، فاستمع له وأنصت، ثم اقرأه كما أقرأك، وكرره حتى يرسخ في ذهنك.ثم إننا بعد حفظه وتلاوته نفسر لك ما فيه من الحلال والحرام، ونبين ونوضح لك ما أشكل منه، ونلهمك معناه كما أردنا وشرعنا.

وهذا تعليم من الله- تعالى- لنبيه ﷺ في كيفية تلقيه الوحى من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته روى الشيخان عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم يونس الخطيب ١٥ / ١٣١٩ ومابعدها، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

(٢) انظر:تفسير القاسمى ٩/ ٣٦٥ – ٣٦٦

(٣) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه قال عمرو بن ميمون عن أبيه لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الارض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة قتله الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين انظر: تهذيب التهذيب ٤/ ١١ – ١٢ ، وتقريب التهذيب ٢٣٤

لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ» – فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ – فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، قَالَ: «جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَؤُهُ»، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] قَالَ: " فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ "[(١)]فأنت ترى أن الله– تعالى– قد ضمن لنبيه ﷺ أن يجمع له القرآن في صدره وأن يجريه على لسانه، بدون أى تحريف أو تبديل، وأن يوضح له ما خفى عليه منه.

قالوا: فكان رسول الله ﷺ إذا ما نزل عليه الوحى بعد ذلك بالقرآن، أطرق وأنصت، وشبيه بهذه الآيات قوله– سبحانه–: (فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً.) طه ١١٤ فالأحوال ثلاثة الحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ [(٢)]

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب التفسير بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ،٩/ ١٥٣، الناشر: دار طوق النجاة الأولى، ١٤٢٢هـ وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة انظر:المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم١/ ٣٣٠، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. وذكره الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي فى لباب النقول في أسباب النزول ٢٠٧، ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(٢) انظر:تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧٨ وأضواء البيان ٣٧٤/٨والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٢ – ٢٠٣ والتفسير المنير ٢٩ /٢٦٤

وهذه الآيات دليل من أدلة القرآن (التي لا تحصى، على أن هذا القرآن من عند الله، وأن ليس لمحمد إلا تلقيه من الوحى، وحمله إلى الناس..وإلا لو كان هذا القرآن من كلام محمد- أكان محمد يلبس هذه الشخصيات جميعها، فيكون مخاطباً وغائبا، وناهياً ومنهيّاً، كل ذلك فى حال واحدة، وموقف واحد؟.أيعقل فى هذا الموقف الذي يواجه فيه المشركين بهذه النذر المطلة عليهم من يوم القيامة- أيعقل فى هذا الموقف، أن يقطع محمد هذا العرض، ثم يتحول إلى نفسه، محاسباً، وناصحاً وموجهاً؟ وما شأن الناس بهذا، لو كان محمد هو صاحب هذا الموقف، والمصور له بكلماته؟ إن صاحب الموقف- وهو الله ﷻ - هو الذي يملك أن يقطع هذا العرض، وأن يلقى على المتلقى عنه، ما يشاء من توجيه، وإرشاد، حتى يجيء العرض واضحا، كاملا.. (١)

قوله تعالى (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) (لما فرغ من خطابه عليه الصلاة والسلام، رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره المنكر البعث، وأن همه إنما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة، إذ هو منكر لذلك.

أى: كلا- أيها الناس- ليس الرشد في أن تتركوا العمل الصالح الذي ينفعكم يوم القيامة، وتعكفوا على زينة الحياة الدنيا العاجلة.. بل الرشد كل الرشد في عكس ذلك، وهو أن تأخذوا من دنياكم وعاجلتكم ما ينفعكم في آخرتكم، كما قال- سبحانه-: (وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) القصص ٧٧وشبيه بهاتين الآيتين قوله- تعالى- (إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا) الإنسان ٢٧(٢)

(١) انظر: التفسير القرآنى للقرآن ١٥/ ١٣٢٢

(٢) انظر:تفسير البحر المحيط١٠/ ٣٥٠ والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٤

قولـه تعـالى (وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ نَاضِـرَةٌ. إِلَـى رَبِّهَـا نَـاظِرَةٌ. وَوُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ بَاسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) «في يوم القيامة، الذي يبرق فيه البصر، ويخسف القمر.. تصير وجوه حسنة مشرقة، ألا وهي وجوه المؤمنين الصادقين.. وهذه الوجوه تنظر إلى ربها في هذا اليوم نظرة سرور وحبور، بحيث تراه- سبحانه- على ما يليق بذاته، وكما يريد أن تكون رؤيته- عز وجل- بلا كيفية، ولا جهة، ولا ثبوت مسافة.

وهناك وجوه أخرى تصير في هذا اليوم كالحة شديدة العبوس، وهي وجوه الكافرين والفاسقين عن أمر ربهم، وهذه الوجوه تَظُنُّ : والظن هاهنا بمعنى اليقين، هكذا قاله المفسرون، وعندي أن الظن إنما ذكر هاهنا على سبيل التهكم كأنه قيل: إذا شاهدوا تلك الأحوال، حصل فيهم ظن أن القيامة حق، والفاقرة داهيةٌ تكسر الظهر، وأصلها من الفقرة والفقارة كأن الفاقرة داهيةٌ تكسر فقار الظهر، واعلم أن من المفسرين من فسر الفاقرة بأنواع العذاب في النار، وفسرها الكلبي [١] فقال: الفاقرة هي أن تحجب عن رؤية ربها ولا تنظر إليه والأولى العموم

فهى تعتقد أو تتوقع، أن يفعل بها فعلا يهلكها، ويقصم ظهورها لشدته وقسوته.

وجاء لفظ «وجوه» في الموضعين منكراً، للتنويع والتقسيم، كما في قوله- تعالى- (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى: ٧) [٢]

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض مات سنة ١٤٦ هـ انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٧ – ١٥٩ وتقريب التهذيب ٤٧٩

(٢) انظر :تفسير الرازى ٣٠/ ٧٣١ – ٧٣٣ والتفسير الوسيط ١٥ – ٢٠٤

وقفة مع إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والرد على من أنكر ذلك

أخذ العلماء من قوله- تعالى-: (إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) أن الله- تعالى- يتكرم على عباده المؤمنين في هذا اليوم، فيريهم ذاته بالكيفية التي يريدها- سبحانه-.وهذا هو مذهب أهل السنة[1] ولهم أدلتهم من الكتاب والسنة أما الكتاب فمن الآيات الدالة على ذلك قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس ٢٦) فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ:

---

(١) أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بسنة النبى ﷺ التاركون بدع المبتدعين بعده وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلك سبيلهم فى القول والعمل والاعتقاد وكانوا يعرفون باسم أهل الحديث أو التابعين وذلك قبل أن تتكون مدرستهم ذات المناهج العقلية الخاصة بهم والتى ظهرت على يد أبى الحسن الأشعرى الذى يعد ظهوره تتويجاً لانتصار مذهب أهل السنة عند ما انفصل عن الجبائى (المعتزلى) وتبعه طائفة من علماء الحديث كالقاضى أبى بكر الباقلانى وأبى إسحاق الإسفراييني وأبى حامد الغزالى وسمى الأشعرى وأتباعه والماتريدى وأتباعه بأهل السنة وهم القائلون بأنهم لم يأتوا بشيء جديد وإنما اتبعوا مذهب السلف الذى يعنى مذهب الصحابة والتابعين وما عليه أهل السنة من الاعتقاد ١ – الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما صح فيه من الأخبار وما تقدمه من العلامات ٢ – الإيمان بالقدر خيره وشره من الله ٣ –القرآن كلام الله غير مخلوق ٤– إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ٥ – إثبات شفاعة النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين ولمزيد من التفصيل انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للإمام هبة الله بن الحسين اللالكائى ٢ / ١٥١ ط دار طيبة الرياض الأولى ١٤٠٩ – ١٩٨٨ م وانظر: المدخل لدراسة الأديان والمذاهب للعميد عبد الرزاق أسود ٢ – ٩٣ وما بعدها ط الدار العربية للموسوعات بيروت الأولى ١٤٠١ – ١٩٨١ وانظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ١ / ٤٠ وما بعدها ، الناشر : دار الندوة العالمية الرياض الأولى ١٤١٨ هـ

فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ " وفى رواية ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١)

ومنها قوله تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ق ٣٥ والمزيد هُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ روى ذلك عن أَنَسُ ابْنُ مالك (٢) ﷺ (٣)

ومنها قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وهي من أظهر الأدلة (حيث إن إضافة النظر إلى الوجه، الذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب ﷻ فإن النظر له عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ الحديد ١٣. وإن عدي بـ"في"فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الْأَعْرَافِ آية ١٨٥). وإن عدي بـ "إلى" فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ ﷻ ١٦٣/١

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه خدمه عشر سنين ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان ويجيء منه ريح المسك وكانت إقامته بعد النبي ﷺ بالمدينة ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة ومات بها وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة مات سنة ٩٠ وقيل ٩١ هـ وقيل غير ذلك انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٢٦/١ وما بعدها، الناشر: دار الجيل – بيروت الأولى، ١٤١٢هـ تحقيق: علي محمد البجاوي

(٣) انظر: تفسير الطبرى ٣٦٧/٢٢ وما بعدها

تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ الْأَنْعَامِ ٩٩. فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟ (١)

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين ١٥ احتج الإمام الشافعي رحمه الله بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة حيث قال فى تفسيره للآية: (فلما حجبهم في السخط: كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا» (٢)

وأما أدلتهم من السنة فكثيرة منها حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ (٣) ﷺ: « قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ) (٤)

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للإمام محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ١٥٤تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية الأولى – ١٤١٨ هـ

(٢) انظر: أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي – جمع الإمام : أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ١/ ٤٠، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة : الثانية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة هو مشهور بكنيته وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً وحدث أبو هريرة عن النبى ﷺ وعن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وغيرهم روى عنه ولده المحرر بمهملات ومن الصحابة ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم ومن كبار التابعين مروان بن الحكم وقبيصة بن ذؤيب وعبد الله بن ثعلبة وسعيد بن المسيب وغيرهم كان إسلامه بين الحديبية وخيبر قدم المدينة مهاجراً وسكن الصفة توفى سنة ٥٧ هـ، انظر: الإصابة ٤/ ٣١٦ – ٧/ ٤٢٥ ومابعدها

(٤) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الرقاق بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ ١١٧/٨ وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية بلفظ مقارب ١٦٣/١

ومنهـا حـديث جريـر بـن عبـد الله البجلـي [١]، قـال: (كُنَّـا عِنْـدَ النَّبِـيِّ ﷺ، فَنَظَـرَ إِلَـى القَمَـرِ لَيْلَـةً – يَعْنِـي البَـدْرَ – فَقَـالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَـامُّونَ فِـي رُؤْيَتِـهِ، فَـإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] [٢]

ومنها قوله ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّـةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَـبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[٣]

---

(١) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن حزيمة بن حرب بن علي البجلي الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو وقيل يكنى أبا عبد الله وكان جرير جميلا قال عمر هو يوسف هذه الأمة وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية ثم سكن جرير الكوفة وأرسله علي رسولا إلى معاوية ثم اعتزل الفريقين ومات سنة إحدى وقيل أربع وخمسين من الهجرة انظر: الإصابة ١/ ٤٧٥

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (لا تضامون) لا ينالكم ضيم أي تعب أو ظلم. (لا تغلبوا) بأن تستعدوا لقطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة من نوم أو شغل. (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أي صلاتي الفجر والعصر. انظر: صحيح البخارى بتعليق د/ مصطفى البغا ١/ ١١، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١/ ٤٣٩

(٣) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب التفسير بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]٦/١٤٥ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ والمراد بقوله (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) قال العلماء كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه ويقرب الكلام إلى أفهامهم ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها فعبر ﷺ عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء وقوله في جنة عدن أي الناظرون في جنة عدن فهي ظرف للناظر] انظر: صحيح مسلم ١/١٦٣، شرح الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

وأما المعتزلة[١] فنفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة واستدل الْمُعْتَزِلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ الأعراف١٤٣ وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الأنعام ١٠٣ ولكن الآيتين دليل عليهم. أما الآية **الأولى**: فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته – أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود ٤٦

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر. ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

---

(١) المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الذى كان تلميذاً للحسن البصرى ثم اعتزل حلقته بعد قوله أعنى واصل إن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً بل هو فى منزلة بين المنزلتين ولأجل اعتزال واصل وأصحابه حلقة الإمام الحسن البصرى سموا بالمعتزلة ويلقبون بالقدرية لأنهم ينسبون أفعال العباد إلى قدرتهم. انظر: الملل والنحل للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ١/ ٤٣ ط دار المعرفة بيروت وشرح العقيدة الطحاوية ٥٣٧– ٥٣٨، وانظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ١ / ٣٦٨ – ٣٦٩ توزيع المكتبة السلفية المدينة المنورة

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالًا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام. والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة – فرؤيته أولى بالجواز. ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وأما دعواهم تأبيد النفي بـ (لن) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ البقرة ٩٥ مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ الزخرف ٧٧ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ يوسف ٨٠ . فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد.

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديا، كمدحه بنفي السنة [1] والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال

(١) السِّنَةُ: نُعاسٌ يَبْدأُ في الرأْسِ، فإذا صارَ إلى القَلْبِ فهو نَوْمٌ. انظر: الصحاح ٦/ ٢٢١٤ ، وتاج العروس٣٦ / ٢٥٥ مادة وسن.

الحياة، ونفي اللغوب [١] والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، [ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه] ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل، المتضمن لكمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلَّا﴾ (الشعراء: ٦١-٦٢)، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا، . بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

واستدلوا بتأويلهم لقوله (إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بأنها تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شي من خلقه، وهذا تأويل مدخول، لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته، كما قال تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) [الزخرف: ٦٦]، (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) [الأعراف: ٥٣]، (مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً) [يس: ٤٩] وإذا أرادت به التفكر والتدبر قالوا: نظرت

(١) اللُّغُوبُ: التَّعَبُ والإِعْياءُ، انظر: الصحاح ٢٢٠/١ وتاج العروس ٢١٥/٤ مادة لغب.

فيه، فأما إذا كان النظر مقرونًا بذكر إلى، وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان. (١)

المطلب السابع ما ترشد إليه الآيات

دلت الآيات على ما يأتي:

١- تكفل الله تعالى لنبيه ﷺ ثلاثة أمور لحفظ القرآن إلى الأبد: وهي جمعه في صدره عليه الصلاة والسلام، وتلاوته، وتفسيره لبيان ما فيه من الحدود والحلال والحرام، والوعد والوعيد، والمشكلات.

٢- التثبت والتأني في الأمور مطلوب ومرغوب فيه.

٣- إن سبب إنكار المشركين البعث والحساب والجزاء هو إيثار الدار الدنيا والحياة العاجلة فيها، وترك الاستعداد للآخرة والعمل لها، فعلى المؤمن أن يفر من غير الله إلى الله، ولا يستعين في كل أموره إلا به، على نقيض الكافر الذي كان يفر من الله إلى غيره حين قال: (أَيْنَ الْمَفَرُّ) القيامة ١٠.

٤- ثبوت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الآخرة، وحرمان الفجار منها.

٥- تكون وجوه الكفار الفجار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة، مستيقنة أنه سيحل بها عذاب شديد، وداهية عظيمة. (٢)

---

(١) انظر: تفسير القرطبى ١٩/ ١٠٩وانظر: شرح العقيد ة الطحاوية ١٥٣ – ١٥٩

(٢) انظر: التفسير المنير ٢٩/ ٢٦٨- ٢٦٩

المبحث الثالث
تفريط الكافر في الدنيا وإثبات البعث

الآيات

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) ﴾ [سورة القيامة : الآيات ٢٦ إلى ٤٠]

المطلب الأول: المفردات اللغوية

(التَّراقِيَ) جمع التَّرْقُوَةُ وهي العظم الذي في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان والتَّرْقُوَتانِ: الْعَظْمَانِ المُشْرِفان بَيْنَ ثُغْرة النحْر والعاتِق تَكُونُ لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ؛

والجمع التراقي وقد بلغت روحه التراقي إذا شارف الموت[١]

(راقٍ) اسم فاعل إما من رقي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وإما من رقي بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود أي إن الملائكة تقول: من يصعد بهذه الروح. [٢]

(يَتَمَطَّى) (مَطَّ) الْمِيمُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَدِّ الشَّيْءِ. وَمَطَّهُ: مَدَّهُ. وَالْقِيَاسُ فِيهِ وَفِي الْمُطَيْطَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَشْيُ بِتَبَخْتُرٍ، لِأَنَّهُ

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٤٥/١. و لسان العرب ١٠/ ٣٢ مادة ترق
(٢) انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٢٢٤ ، ولسان العرب ١٤/ ٣٣١ – ٣٣٢ ، مادة رقا

إِذَا فَعَلَ مَطَّ أَطْرَافَهُ أى مدها قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يعنى يتبختر قَالُوا: أَصْلُهُ يَتَمَطَّطُ، فَجُعِلَتِ الطَّاءُ الثَّالِثَةُ يَاءً لِلتَّخْفِيفِ، وَمَطَّ حَاجِبَيْهِ: تَكَبَّرَ، وَهُوَ مِنْهُ. (١)

(سُدىً) والسُّدى والسَّدى: الْمُهْمَلُ، الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ. يقال: إبلٌ سُدًى أَي مُهْمَلَةٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: سَدًى. وأَسْدَيْتُها: أَهْمَلْتها؛

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً)؛ أَيْ يُترك مُهْمَلًا غَيْرَ مأْمور وَغَيْرَ مَنْهيّ، وَقَدْ أَسْدَاه. وأَسْدَيْتُ إِبِلي إِسْدَاء إِذَا أَهْمَلْتها، وَالِاسْمُ السُّدَى.(٢)

(تَمَنَّى) مَنَى الرَّجلُ وأَمْنَى مِنَ المَنِيّ بِمَعْنًى، واسْتَمْنَى أَي اسْتَدْعَى خُرُوجَ الْمَنِّي. والمني: ما يخرج عن الجماع من الماء الدافق وتمنى تصب فى الرحم (٣)

المطلب الثانى الإعراب

(كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ) (جواب الشرط محذوف؛ أى: حتى إذا بلغت روح الإنسان التراقي، وأوشكت أن تفارق صاحبها.. وجد كل إنسان ثمار عمله الذي عمله في دنياه، وانكشفت له حقيقة عاقبته. وفاعل (بَلَغَتِ) مستتر تقديره هي يعود إلى النفس الدّال عليها سياق الكلام وإن لم يجر لها ذكر تقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء. (إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم ويومئذ ظرف متعلق بالمساق وقد أضيف إلى مثله

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٣/ ٢١٠ ومعجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٧٣، وتاج العروس ٢٠/ ١٠٩ ، مادة مطط.

(٢) انظر: الصحاح ٦/ ٢٣٧٤ ولسان العرب ١٤/ ٣٧٧ مادة سدا

(٣) انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٩٣ والمصباح المنير ٢/ ٥٨٢ مادة منى وإعراب القرآن وبيانه ١٠ – ٣٠٤

والتنوين عوض عن جمل أربع: وهي بلغت الروح التراقي، وقيل من راق، وظن أنه الفراق، والتفّت الساق بالساق. (أَوْلى لَكَ فَأَوْلى) أَوْلى مبتدأ، ولَكَ خبره، وحذف خبر أَوْلى الثاني، اجتزاءً بخبر الأول عنها واللام في قوله (لَكَ) للتبيين، والكاف خطاب لهذا الإنسان المخصوص بالدعاء عليه.

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً) (أَنْ يُتْرَكَ) سد مسد مفعولي: يَحْسَبُ؛ وسُدىً حال من ضمير يُتْرَكَ. (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثى) الذَّكَرَ وَالْأُنْثى منصوبان على البدل من الزَّوْجَيْنِ.) [(١)].

المطلب الثالث البلاغة:

١ –(قوله (بَلَغَتِ التَّراقِيَ) كناية عن الإشراف على الموت.

٢ – الاستعارة التمثيلية[(٢)]. في قوله: « وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » استعارة تمثيلية لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها لأنهما يومان قد التفا ببعضهما واختلطا بالكرب كما تلتف الساق على الساق كما يقال شمّرت الحرب عن ساق استعارة لشدّتها

٣ – (السَّاقُ) و(الْمَساقُ) بينهما جناس غير تام .

٤– (صَدَّقَ) و(كَذَّبَ) بينهما طباق .

---

(١) انظر: إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣٠٥ – ٣٠٧ والتفسير الوسيط ١٥ /٢٠٥ – ٢٠٨ والتفسير المنير ٢٩/ ٢٦٩ – ٢٧٠

(٢) تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد – وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور (بأخرى) ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه – وتسمى بالمجاز المركب انظر: جواهر البلاغة ٢٧٥

٥ – الالتفات[١]. من الغيبة فى قوله ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ إلى الخطاب فى قوله (أَوْلى لَكَ فَأَوْلى) وسر الالتفات تقبيح الإنسان الكافر المخاطب و مواجهته بِالدُّعَاءِ لِأَنَّ الْمُوَاجَهَةَ أَوْقَعُ فِي التَّوْبِيخِ، وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: أَوْلَى لَهُ.

٦–(أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً) استفهام إنكاري بقصد التوبيخ والتقريع[٢].

المطلب الرابع القراءات

﴿ وَقِيلَ مَنْ راقٍ ﴾ (قَرَأَ حَفْص[٣] ﴿ وَقِيلَ مَنْ راقٍ ﴾ بِإِظْهَار النُّون إعلاما أَن من مُنْفَصِلَة من الرَّاء الْمَعْنى هَل من مداو وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْإِدْغَامِ لقرب النُّون من الرَّاء ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى ﴾ قرأ حَفْص ﴿ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى ﴾ بِالْيَاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ فَمن قَرَأَ ﴿يُمْنى﴾ فللفظ (مَنِيٍّ) وَمن قَرَأَ بِالتَّاءِ فللفظ ﴿نُطْفَة﴾)[٤]

---

(١) الالتفات: هو الانتقال من كل من التكلم– أو الخطاب أو الغيبة– إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، تفنناً في الحديث، وتلويناً للخطاب، حتى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحملاً له على زيادة الاصغاء: «فان لكل جديد لذة» ولبعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذوق السليم. انظر: جواهر البلاغة ٢١٢

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٦٣ – ٣٦٤ ، وإعراب القرآن وبيانه ٣٠٧/١٠ – ٣٠٨، والتفسير المنير ٢٩/ ٢٧٠

(٣) حفص بن سليمان أبو عمر الدوري مولاهم الغاضري الكوفي، المقرئ الإمام صاحب عاصم، وابن زوجة عاصم. ولد حفص سنة تسعين، ومات سنة ثمانين ومائة، روى الحديث عن علقمة بن مرثد، وثابت البناني، وأبي إسحاق السبيعي، وعاصم وخلق. وروى عنه بكر بن بكار، وآدم بن أبي إياس، وهشام بن عمار وهو في القراءة ثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث، وقد عاش تسعين سنة انظر: معرفة القراء الكبار ٨٤ – ٨٥ .

(٤) انظر: النشر ٢/ ٣٩٣وانظر: حجة القراءات ٧٣٧

المطلب الخامس المعنى الإجمالى وبيان مناسبة الآيات لما قبلها

(بعد أن ذكر أحوال يوم القيامة وما يرى فيها من عظيم الأهوال، ووصف سعادة السعداء، وشقاوة الأشقياء بيّن أن الدنيا لها نهاية ونفاد ثم تكون مرارة الموت وآلامه، وأن الكافر قد أضاع الفرصة فى الدنيا، فلا هو صدّق بأوامر دينه ولا هو أدّى فرائضه ثم أقام الدليل على صحة البعث من وجهين:

(١) أنه لا بد من الجزاء على صالح الأعمال وسيئها، وثواب كل عامل بما يستحق وإلا تساوى المطيع والعاصي، وذلك لا يليق بالحكيم العادل جل وعلا

(٢) أنه كما قدر على الخلق الأول وأوجد الإنسان من منىّ يمنى، فأهون عليه أن يعيده خلقاً آخر) [١]

المطلب السادس التفسير والبيان

قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)

«لم يبين ما هي التي بلغت التراقي ولكنه معلوم أنها الروح، كما في قوله تعالى: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الواقعة ٨٣ – ٨٧]، فهذه حالات النزع، والروح تبلغ الحلقوم وتبلغ التراقي. وقد يترك التصريح للعلم كما في قوله تعالى: (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) [ص ٣٢]، أي: الشمس، وهكذا هنا فلمعرفتها بالقرائن ترك التصريح بالروح أو النفس، وقد صرح تعالى بذلك في قوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

(١) انظر: تفسير المراغى ٢٩/ ١٥٤ – ١٥٥ ، و التفسير المنير: ٢٧٢/٢٩.

الْهُونِ الْآيَةَ)[الأنعام٩٣] إن جعلنا ﴿ كَلَّا ﴾ رداعة فمعناها: لست يا ابن آدم تكذب هناك بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عيانًا. وإن جعلناها بمعنى (حقا) فظاهر، أي: حقا إذا بلغت التراقي، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي: جمع ترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، وجواب الشرط محذوف؛ أى: حتى إذا بلغت روح الإنسان التراقي، وأوشكت أن تفارق صاحبها.. وجد كل إنسان ثمار عمله الذي عمله في دنياه، وانكشفت له حقيقة عاقبته.

والمقصود من الآية الكريمة وما بعدها: الزجر عن إيثار العاجلة على الآجلة.

فكأنه- تعالى- يقول: احذروا- أيها الناس- ذلك قبل أن يفاجئكم الموت، وقبل أن تبلغ أرواحكم نهايتها، وتنقطع عند ذلك آمالكم.) [1]

َقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) «اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى رَاقٍ هَذِهِ، فَقِيلَ مِنَ الرُّقْيَةِ وهي كلام يقوله القائل، أو فعل يفعله الفاعل من أجل شفاء المريض. والمراد به هنا: مطلق الطبيب الذي يرجى على يديه الشفاء لهذا المحتضر.

أى: اذكروا- أيها الناس- وقت بلوغ الروح نهايتها، ووقت أن وقف من يهمهم أمر المريض مستسلمين لقضاء الله- تعالى- وملتمسين من كل من بيده شفاء مريضهم، أن يتقدم لإنقاذه مما هو فيه من كرب، ولكنهم لا يجدون أحداً يحقق لهم آمالهم والاستفهام عند البعض حقيقى. وقيل: هو استفهام استبعاد وإنكار. أى: قد بلغ هذا المريض مبلغاً لا أحد يستطيع أن يرقيه.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٨١ وأضواء البيان ٨/ ٣٧٥ و التفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٥

وقيل: من الرقي وهو الصعود أي تقول الملائكة: من الذي سيرقى بروحه؛ أملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة؟والاستفهام عليه حقيقى[١]

(ولكن في الآية قرينة على أن الأول أرجح ؛ لأن قول الملائكة يكون في حق الشخص المتردد في أمره، وهذا هنا ليس موضع تردد ؛ لأن نهاية السياق فيه (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) [القيامة ٣١، ٣٢]، إِلَى مَا بَعْدَهُ. [٢] فهذا يدل على أن المراد بهذا الشخص الكافر

قوله- تعالى-: (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) (أى وظن الإنسان المحتضر أن ما نزل به الفراق من حبيبته الدنيا ونعيمها وقيل فراق الروح الجسد، والظن هنا أكثر المفسرين على تفسيره باليقين وسمي اليقين هاهنا بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة أو لعله سماه بالظن على سبيل التهكم[٣]

قوله تعالى (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)، «اختلف في معنى ذلك فقال ابن عباس والحسن والربيع بن أنس [٤] هذه استعارة تمثيلية[٥] لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها لأنه بين الحالين قد اختلطا له، وهذا كما تقول شمرت الحرب عن ساق، وقال ابن

(١) انظر: تفسير الألوسى ٢٩/ ١٤٦ والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٦
(٢) انظر: أضواء البيان ٨/ ٣٧٥ – ٣٧٦ والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٥
(٣) انظر: تفسير الرازى ٣٠/ ٧٣٥ وتفسير القرطبى ١٩/ ١١٢ وتفسير الألوسى ٢٩/ ١٤٧ والتحرير والتنوير ٢٩ /٣٣٣
(٤) الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية وعنه أبو جعفر الرازي والأعمش صدوق له أوهام ورمي بالتشيع .توفي سنة ١٣٩هـ أو سنة ١٤٠ هـ انظر: تهذيب التهذيب ٣ / ٢٠٧وتقريب التهذيب ٢٠٥
(٥) انظر: التحرير والتنوير ٣٥٩/٢٩

المسيب[١] والحسن: هي حقيقة، والمراد ساق الميت عند تكفينه أي لفهما الكفن. وقال الشعبي[٢] وقتادة: هو التفافهما بشدة المرض لأنه يقبض ويبسط ويركب هذا على هذا، وقال الضحاك: المراد أسوق حاضريه من الإنس والملائكة لأن هؤلاء يجهزون روحه إلى السماء وهؤلاء يجهزون بدنه إلى قبره، وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: والتفَّت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) والعرب تقول لكلّ أمر اشتدّ: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه [٣] ويترجح هذا القول بأنه قد صح عن سيدنا ابن عباس[٤] ومن وجوه الترجيح (أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل وقال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين انظر: تهذيب التهذيب ٤/ ٧٤ وما بعدها وتقريب التهذيب ٢٤١ .

(٢) عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات سنة ١٠٣ وقيل ١٠٤ وقيل ١١٠هـ انظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٥٧-٥٩ وانظر: تقريب التهذيب ٢٨٧

(٣) انظر: تفسير الطبرى ٢٤/ ٧٦ – ٨٠ والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦

(٤) جاء فى موسوعة الصحيح المسبور أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (والتفت الساق بالساق) يقول: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحم الله. انظر: تفسير الطبري : ٧٦/٢٤، وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للأستاذ الدكتور . حكمت بن بشير بن ياسين ٥٦٨/٤، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

الأربعة، وعبد الله بن عباس: لقول رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[١][٢]

قوله تعالى: (إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ) أَيْ: (إلى خالقك يوم القيامة المرجع، وذلك جمع العباد إلى الله يساقون إليه لكي يحاسبوا على أعمالهم) [٣]

قوله تعالى (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى) (أي: لم يصدق بالرسالة ولا بالقرآن، ولا صلى لربه، والضمير يرجع إلى الإنسان المذكور في أول هذه السورة. قال قتادة: فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله، وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه. (وَلكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) فهو لم يأت بأصل الدين وهو التصديق بما يجب تصديقه به ولا بأهم فروعه وهو الصلاة ثم أكد ذلك بذكر ما يضاده بقوله تعالى (وَلكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) نفيا لتوهم السكوت أو الشك أي ومع ذلك أظهر الجحود والتولي عن الطاعة والمراد: كذب

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». انظر: صحيح البخاري: ٤١/١. وأخرجه الإمام أحمد وقال المحققون إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، فمن رجال مسلم، انظر: مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ٤/ ٢٢٥، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م وذكره الإمام الهيثمى وعزاه للإمام أحمد وقال لأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح؛ انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٩/ ٤٩٤ ، الناشر : دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للإمام، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي ١٩/١ المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت : الأولى – ١٤١٦هـ

(٣) انظر: فتح القدير ٥/ ٤١٠ والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٧

بالرسول ﷺ وبما جاء به، وتولى عن الطاعة والإيمان وعن النظر والتدبر في القرآن. وبعض المفسرين فسر صدق بمعنى أعطى الصدقة، وهو غير جار على قياس التصريف إذ حقه أن يقال: تصدق، على أنه لا يساعد الاستدراك في قوله: (وَلكِنْ كَذَّبَ.)

قوله تعالى (ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) (أى يتبختر افتخاراً بذلك ومن صدر عنه مثل ذلك ينبغي أن يخاف من حلول غضب الله تعالى به فيمشي خائفاً متطامنا لا فرحاً متبختراً فثم للاستبعاد (ويَتَمَطَّى) من المط فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط قلبت الطاء فيه حرف علة كراهة اجتماع الأمثال كما قالوا تظني من الظن وأصله تظنن أو من المطا وهو الظهر فإن المتبختر يلوي مطاه تبختراً فيكون معتلاً بحسب الأصل والمعنى: أنه أهمل الاستعداد للآخرة ولم يعبأ بدعوة الرسول ﷺ وذهب إلى أهله مزدهيًا بنفسه غير مفكرٍ في مصيره) [١]

قوله ﷻ: (أَوْلى لَكَ فَأَوْلى. ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى) (دعاء على هذا الإنسان الشقي، المصر على إعراضه عن الحق.. بالهلاك وسوء العاقبة. وأَوْلى اسم تفضيل من ولى، وفاعله ضمير محذوف يقدره كل قائل أو سامع بما يدل على المكروه. وقوله: (فَأَوْلى) تأكيد لقوله (أَوْلى لَكَ) وجملة (ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى) مؤكدة للجملة الأولى. أى: أجدر بك هذا الهلاك الذي ينتظرك قريبا- أيها الإنسان- الجاحد، ثم أجدر بك، لأنك أصررت على كل ما هو باطل وسوء.

(١) انظر: فتح القدير ٥/ ٤١٠ – ٤١١ وتفسير الألوسى ٢٩/ ١٤٨ والتحرير والتنوير ٣٦١/٢٩

وجيء بحرف « ثُمَّ » في عطف الجملة الثانية على الأولى، لزيادة التأكيد، وللارتقاء في الوعيد، وللإشعار بأن التهديد الثاني أشد من الأول، كما في قوله- تعالى-: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) التكاثر ٣ -٤ [(١)].

وعن سعيد بن جبير، قال: (قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤] " أَشَيْءٌ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ شَيْءٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ؟ قَالَ: «قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ»[(٢)]. وعنه قال قلت لابن عباس: (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى. ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)؟ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ[(٣)]، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ [(٤)].

(فهو وعيد أربعة لأربعة؛ كما روي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربه فقال: (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أي لا صدق رسول

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٢ - ٢٨٣ ، والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٨

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك فى كتاب التفسير باب تفسير سورة القيامة وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبى انظر: المستدرك للإمام محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم ومعه التلخيص للإمام الذهبى ٢/ ٥٥٤ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ وذكره الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧٨/٧ وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات

(٣) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوةً للنبي ﷺ في صدر الاسلام، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية. أدرك الاسلام، وكان يقال له " أبو الحكم " فدعاه المسلمون " أبا جهل". واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها وذلك سنة ٢ هـ انظر: الأعلام ٥/ ٨٧

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي المعروف بابن أبي حاتم ١٠ / ٣٣٨٩ تحقيق أسعد محمد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الثالثة - ١٤١٩ هـ وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٣ وقد ذكره الشيخ مقبل الوادعى وقال رجاله رجال الصحيح انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ : مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ ٢٢٧، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الرابعة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م

الله ﷺ، ولا وقف بين يدي فصلى، ولكن، كذب رسولي، وتولى عن الصلاة بين يدي. فترك التصديق خصلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولي عن الله تعالى خصلة؛ فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال: فإن قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ خصلة خامسة؛ فإنا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي، فأخبر عنها [١].والآيات وإن نزلت فى أبى جهل فالوعيد له ولأمثاله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ﮋقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (قال السدي [٢]: يعني: لا يبعث.وقال مجاهد، والشافعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٣]: يعني لا يؤمر ولا ينهى.

والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدًى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد[٤] .

قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ «لما ذكر حاله في الموت وما كان من حاله في الدنيا، قرر له أحواله في بدايته ليتأملها، فلا ينكر معها جواز البعث من القبور. والاستفهام للتقرير أي: أما كان

---

(١) انظر: تفسير القرطبى ١٩/ ١١٤

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال السدي الكبير كان يقعد في سدة باب الجامع فسمى بالسدي. أبو محمد الكوفي صدوق يهم ورمي بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٧٣ / ٢٧٤ وتقريب التهذيب ١٠٨

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ضعيف مات سنة ١٨٢هـ ، انظر: تقريب النهذيب ٣٤٠

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٣، والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٩

الإنسان نطفةً ضعيفةً من ماء مهين، يمنى يراق من الأصلاب في الأرحام بلى إنه كان كذلك ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: فصار علقةً أى: قطعة دم متجمد وعطف فعل كان علقةً بحرف ثم للدلالة على التراخي الرتبي [١] فإن كونه علقةً أعجب من كونه نطفةً لأنه صار علقةً بعد أن كان ماءً فاختلط بما تفرزه رحم الأنثى من البويضات فكان من مجموعهما علقةً . ثم مضغةً، ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقًا آخر سويًا سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره؛ ولهذا قال: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ أي النوعين أو المزدوجين من البشر، [٢]

ثم قال: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (وهذه الجملة بمثابة النتيجة بعد المقدمات والأدلة.أى: أليس ذلك الرب العظيم الشأن والقدرة، الذي أحسن كل شيء خلقه: والذي خلق الإنسان في تلك الأطوار المتعددة ... أليس ذلك الإله صاحب الخلق والأمر.قادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى وعلى أن يعيدهم إلى الحياة مرة أخرى، ليجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى؟ بلى إنه لقادر على ذلك قدرة تامة.) [٣].

---

(١) التراخي الرُّتَبي: هو التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة والرتبة، فيُجعل المعطوف أرفع رتبة من المعطوف عليه. انظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم: الفاء ، ثم ، للدكتور محمد الخضري: ١٨٢– ١٨٣، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى: ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٠/ ٣٥٣ – ٣٥٤ وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٣ والتحرير والتنوير ٢٩ – ٣٦٧والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٠٩

(٣) انظر: تفسير الرازى ٣٠/ ٧٣٨ ، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٣ ، والتفسير الوسيط ١٥/ ٢٩

وفي الحديث : «كان رَجُلٌ يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ؛ قال: سبحانك فَبَلَى! فسألوه عن ذلك؟ فقال: سمعته من رسول الله ﷺ » [(١)].

المطلب السابع ما ترشد إليه الآيات

يفهم من الآيات ما يأتي:

١- ذكّر الله تعالى الناس قاطبة بشدة الحال وصعوبة الأمر عند نزول الموت، فعند الاحتضار يجتمع على الإنسان أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، ويجتمع عليه أيضا شيئان محزنان: فراق الدنيا والأهل والولد حين معاينة الملائكة، واتصال شدة الدنيا بشدة أول الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله، أي شدة كرب الموت بشدة هول المطلع على الآخرة.

٢- يكون الشّوق في يوم القيامة إلى الخالق، ويكون المرجع والمآب إلى حكم الله، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

٣- يكون الكافر أولى وأجدر بالعذاب والهلاك لفساد العقيدة والعمل والخلق، فلم يصدّق بالرسول محمد ﷺ ولا بالقرآن ولم يصلّ الصلاة المفروضة التي أمره الله بها، وتجرد عن إنسانيته بالتكبر والتبختر، افتخاراً بالمال والولد، واعتزازاً بالقوة الجسدية أو الجاه، لذا جاء التهديد بعد التهديد، والوعيد بعد الوعيد في قوله تعالى: (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود فى سننه فى كتاب الصلاة باب الدعاء فى الصلاة وقال العلامة الألبانى قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير الصحابي؛ فإنه لم يسم، ولا يضر ذلك؛ كما قال الحافظ ابن كثير (٨/ ٢٨٤). انظر: صحيح سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ٤/ ٤٠ ، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٤- أعاد الله تعالى في آخر السورة ما ذكر في أولها بقوله: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) (القيامة: ٣) وقد ذكر هذا لإثبات الحشر والبعث والقيامة بدليلين:

الأول- لا بد في الحياة من التكليف لتنظيم الحياة وتهذيب الأنفس ودرء المفاسد، والتكليف لا يحسن، ولا يليق بالكريم الرحيم إلا إذا كان هناك دار الثواب والبعث والقيامة.

الثاني- الاستدلال بالخلقة الأولى على الإعادة، فمن قدر على بدء الخلق وإيجاد الإنسان، فهو أقدر على إعادته إلى الحياة مرة أخرى) [١]..

(١) انظر: التفسير المنير ٢٩/ ٢٧٧ - ٢٧٨

الخاتمة

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى أشـرف المرسـلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعــد،

فقد عشت فـى رحـاب سـورة القيامـة فتـرة مـن الـزمن نهلـت فيهـا مـن معينها الصافى وتفيأت من ظلالها الوارفة وقطفت من ثمارها اليانعة ومن هذه الثمار :

١- البعث حق وواقع لا محالة.

٢- علامات يوم القيامة تتمثل فى تبدل الأحوال وتغيرها مثل حيرة البصر ودهشته وذهاب ضوء القمر دون عودة، وذهاب ضوء الشمس

٣- الإنسان خير شاهد على نفسه، فهو حجة بيّنة على أعماله، حتى ولو أنكر واعتذر، فجوارحه تشهد عليه فلو اعتذر وجادل عن نفسه، فعليه شاهد يكذّب عذره. قال الله سبحانه: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) [النور: ٢٤]

٤- القرآن من عند الله، وليس للنبى ﷺ إلا تلقيه وحمله إلى الناس وقد ضمن الله لنبيه ﷺ أن يجمع له القرآن في صدره وأن يجريه على لسانه، بدون أى تحريف أو تبديل، وأن يوضح له ما خفى عليه منه.

٥- التعجل مذموم والتأنى والتثبت فى الأمور محمود

٦- ثبوت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الآخرة، وحرمان الكفار منها،

٧- صلاح العقيدة والعمل والخلق سبب للفوز والنجاح وفسادها سبب للخسران والهلاك ويوضح ذلك قوله تعالى (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) القيامة ٣١ – ٣٥

٨- بدء خلق الإنسان وتطور خلقه دليل على الإعادة، فمن قدر على بدء الخلق وإيجاد الإنسان، فهو أقدر على إعادته إلى الحياة مرة أخرى قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الروم ٢٧

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دكتور

وليد عبد الحليم محمد زايد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

المصادر والمراجع

١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، تحقيق أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الثالثة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م

٢) أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي – جمع الإمام : أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة : الثانية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م

٣) أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله المعروف بأبى بكر بن العربي المالكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٤) أسد الغابة للإمام محمد بن محمد بن الأثير، ط الشعب.

٥) الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر : دار الجيل – بيروت الأولى، ١٤١٢هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي

٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط دار الفكر بيروت – لبنان : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

٧) إعراب القرآن وبيانه للأستاذ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ط دار اليمامة – دمشق – بيروت، الرابعة، ١٤١٥ هـ

٨) الأعلام لخير الدين الزركلى ، ط دار العلم للملايين، بيروت، الخامسة، مايو ١٩٨٠م.

٩) البحر المحيط في التفسير، للإمام: أبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، الناشر ط دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ.

١٠) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للأستاذ: عبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة الآداب السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

١١) البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م

١٢) البلاغة الواضحة للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين، الناشر: دار المعارف لبنان

١٣) تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، الناشر دار الهداية.

١٤) التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط دار سحنون تونس ١٩٩٧م

١٥) التسهيل لعلوم التنزيل للإمام، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي ، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت : الأولى – ١٤١٦ هـ

١٦) تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

١٧) تفسير القرآن العظيم للإمام عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي المعروف بابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الثالثة – ١٤١٩هـ

١٨) التفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

١٩) تفسير المراغي، للإمام أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان للإمام مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولى – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م تحقيق : أحمد فريد.

٢١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلى، ط دار الفكر المعاصر بيروت الأولى ١٤١١ هـ -١٩٩١ م

٢٢) التفسير الواضح، المؤلف: محمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ

٢٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة

٢٤) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى، توزيع المكتبة السلفية المدينة المنورة

٢٥) تقريب التهذيب للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الرشيد سوريا ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

٢٦) تهذيب التهذيب للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الفكر الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م
٢٧) تهذيب اللغة للإمام محمد بن أحمد بن الأزهرى، تحقيق محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت الأولى، ٢٠٠١م
٢٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبرى، تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر ط: مؤسسة الرسالة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٩) الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ط دار الكتب المصرية - القاهرة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
٣٠) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار طوق النجاة الأولى، ١٤٢٢هـ
٣١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للأستاذ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت
٣٢) حجة القراءات للإمام عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، الناشر: دار الرسالة
٣٣) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت- لبنان الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م
٣٤) خزانة الأدب ولب لباب العرب للأستاذ عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الرابعة، ١٩٩٧م.

٣٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام أبى العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق.

٣٦) ديوان امرِئ القيس المؤلف: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة – بيروت الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٣٧) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام محمود شكرى الألوسى البغدادى ، ط دار إحياء التراث العربى بيروت

٣٨) سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م،

٣٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للإمام هبة الله بن الحسين اللالكائى، ط دار طيبة الرياض الأولى ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٨ م

٤٠) شرح العقيدة الطحاوية للإمام محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية الأولى – ١٤١٨ هـ

٤١) الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٤٢) الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ : مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الرابعة ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م

٤٣) صحيح سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٤٤) صفوة التفاسير للشيخ: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٤٥) غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام محمد بن محمد بن الجزرى، ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٣٥٢ هـ- ١٩٣٣ م

٤٦) فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، الأولى - ١٤١٤ هـ

٤٧) القاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤٨) القرآن وإعجازه العلمي تأليف محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة

٤٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبى القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري، ط دار الكتاب العربي - بيروت الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٥٠) لباب النقول في أسباب النزول، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

٥١) لسان العرب للإمام محمد بن مكرم بن على بن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت الثالثة - ١٤١٤ هـ

٥٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر : دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ

٥٣) محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الأولى – ١٤١٨ هـ

٥٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط دار الكتب العلمية – بيروت الأولى – ١٤٢٢ هـ

٥٥) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ط المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

٥٦) المدخل لدراسة الأديان والمذاهب للعميد عبد الرزاق أسود، ط الدار العربية للموسوعات بيروت الأولى ١٤٠١ هـ– ١٩٨١ م.

٥٧) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد للإمام محمد بن عمر نووي الجاوي ، تحقيق محمد أمين الصناوي ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٧ هـ

٥٨) المستدرك للإمام محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم ومعه التلخيص للإمام الذهبى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م

٥٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٦٠) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط المكتبة العلمية بيروت.

٦٢) معاني القرآن للإمام يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر

٦٣) معجم مقاييس اللغة للإمام أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦٤) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م

٦٥) مفاتيح الغيب للإمام محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت : الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٦٦) مفتاح العلوم للإمام يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٦٧) المفردات في غريب القرآن، للإمام أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق صفوان عدنان الداودي ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الأولى – ١٤١٢ هـ

٦٨) الملـل والنحـل، للإمـام محمد بـن عبـد الكـريم الشهرسـتاني، ط دار المعرفة، بيروت.
٦٩) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم: الفاء ، ثم ، للدكتور محمد الخضـري، الناشـر مكتبـة وهبـة، القـاهرة، الأولـى: ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م
٧٠) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للأستاذ الدكتور . حكمـت بـن بشـير بـن ياسـين، الناشـر: دار المـآثر للنشـر والتوزيـع والطباعة- المدينة النبوية الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م
٧١) الموسـوعة الميسـرة فـي الأديـان والمـذاهب والأحـزاب المعاصـرة .إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مـانع بـن حمـاد الجهنـي، الناشـر : دار الندوة العالمية الرياض الأولى ١٤١٨
٧٢) النشـر فـي القـراءات العشـر للإمـام ابـن الجـزري، محمد بـن محمد بـن يوسـف ، تحقيـق: علـي محمد الضـباع، الناشـر : المطبعـة التجاريـة الكبرى.
٧٣) نظـم الـدرر فـي تناسـب الآيـات والسـور للإمـام إبـراهيم بـن عمـر بـن حسن الربـاط بـن علـي بـن أبـي بكـر البقـاعي، الناشـر: دار الكتـاب الإسلامي، القاهرة
٧٤) نفـائس البيـان شـرح الفرائـد الحسـان للشـيخ عبـد الفتـاح القاضـى، الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة الأولى ١٤٠٤ هـ
٧٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أحمد بن محمد بن خلكان ، ط دار صادر بيروت، تحقيق د/ إحسان عباس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٤١٥
التمهيد	٤١٧
المبحث الأول: إثبات البعث وعلاماته .	**٤١٩**
المطلب الأول المفردات اللغوية:	٤١٩
المطلب الثانى الإعراب	٤٢١
المطلب الثالث البلاغة:	٤٢٤
المطلب الرابع القراءات	٤٢٥
المطلب الخامس المعنى الإجمالى	٤٢٧
المطلب السادس التفسير والبيان:	٤٢٩
المطلب السابع ما ترشد إليه الآيات	٤٣٩
المبحث الثانى: حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن وحال الناس في الآخرة	**٤٤١**
المطلب الأول المفردات اللغوية	٤٤١
المطلب الثانى الإعراب	٤٤٢
المطلب الثالث البلاغة:	٤٤٢
المطلب الرابع القراءات	٤٤٤
المطلب الخامس المعنى الإجمالى وبيان مناسبة الآيات لما قبلها	٤٤٤
المطلب السادس التفسير والبيان	٤٤٥
المطلب السابع ما ترشد إليه الآيات	٤٥٨

المبحث الثالث: تفريط الكافر في الدنيا وإثبات البعث	**٤٥٩**
المطلب الأول: المفردات اللغوية	٤٥٩
المطلب الثانى الإعراب	٤٦٠
المطلب الثالث البلاغة:	٤٦١
المطلب الرابع القراءات	٤٦٢
المطلب الخامس المعنى الإجمالى وبيان مناسبة الآيات لما قبلها	٤٦٣
المطلب السادس التفسير والبيان	٤٦٣
المطلب السابع ما ترشد إليه الآيات	٤٧٢
الخاتمة	٤٧٤
المصادر والمراجع	٤٧٦